نشأة بدع الصوفية

تأليف

د. فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد

الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض



نشأة بدع الصوفية

تأليف
د. فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد
الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض



الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

ح فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد، ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الفهيد، فهد بن سليمان بن إبراهيم

نشأة بدع الصوفية. /فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد. -
الرياض، ١٤٣٥هـ ١٦٤ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك ٦-٤٢٨٥-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١- الصوفية - تاريخ العنوان
ديوي ٢٦٠،٩ ١٤٣٥/٢١٨٦
رقم الإيداع: ١٤٣٥/٢١٨٦
ردمك: ٦-٤٣٨٥-٠١-٦٠٣-٩٧٨



الكويت -الشويخ - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية،
هاتف: ٢٤٨١٩٠٣٧ - ٢٤٨٤٤٧٤٣
فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥
الكويت الخالدية: ص.ب: ١٧٠١٢ - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١
بدالة المطبوعات 24810010 - الكويت
فرع القاهرة: الأزهر - شارع البيطار - خلف الجامع الأزهر
هاتف: ٠٠٢٠٢٢٤٩٩٨٣٥٦ - ٠٠٢٠١٢٢٦٣٠٤٠٧٥
Website: www.gheras.com
Mail: info@gheras.com-E

نشأة بدع الصوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدالله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

❑ **أما بعد:**

فإن طوائف التصوف- التي انتشرت بين المسلمين- قد أظهرت ألوانًا من الانحراف والابتداع وتغيير الشريعة وتبديل الدين، وكان لها من الأثر الكبير والخطر العظيم على عوام المسلمين، حتى اعتقدوا أنهم لا يصلون إلى الله عز وجل إلا من هذه الطرق الصوفية المخترعة.

ولا يزال رؤساء هذه الطوائف الصوفية يدعون إلى باطلهم، ويشبهون على الأغرار[١]، حتى فتن بهم خلق كثير، وصدُّوهم عن سبيل الله تعالى.

لذا كان من المهم الحديث عن بدع هؤلاء وما أحدثوه في الإسلام؛ تأريخًا، ونشأةً، ونقضًا، وردًّا لهذه البدع، وهذا هو سبب جمع هذه المادة العلمية.

وقد اشتملت هذه المادة على مقدمة وأربعة فصول، سيكون الكلام فيها على النحو الآتي:

---

(١) الأغرار: جمع (غر)، وهو من ينخدع إذا خُدع. «المعجم الوسيط» (٢/ ٦٤٨).

الفصل الأول

في الصوفية وألقابها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف التصوف وألقاب الصوفية.

المبحث الثاني: نشأة التصوف.

الفصل الثاني

في نشأة بدع التصوف ومراحلها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مراحل بدع التصوف.

المبحث الثاني: نشأة بدع الصوفية.

المبحث الثالث: أهم بدع الصوفية ونشأتها وبيان بطلانها، وفيه مطالب:

المطلب الأول: قصد القبور وتعظيمها.

المطلب الثاني: تتبع أماكن الأنبياء والصالحين وآثارهم.

المطلب الثالث: بدعة السماع.

المطلب الرابع: بدع الذكر:

١- الذكر الجماعي.

٢- بدع الصعق والغشي.

٣- بدع الذكر بالاسم المفرد.

٤- اعتماد أدعية لم ترد واتخاذها سنة.

المطلب الخامس: بدعة الاحتفال بالمولد.

المطلب السادس: بدعة التشديد على النفس والامتناع عن المباحات.

المطلب السابع: بدع شعائر التصوف (الخرقة - البيعة - العهد - التلقين - حلق الشعر أو قصه على يد الشيخ).

الفصل الثالث

في أول بدع التصوف، من بعض عباد الكوفة، وبعض عباد البصرة

الفصل الرابع

في بذور التصوف الطرقي من القرن الثالث

وفيه ثلاث مباحث:

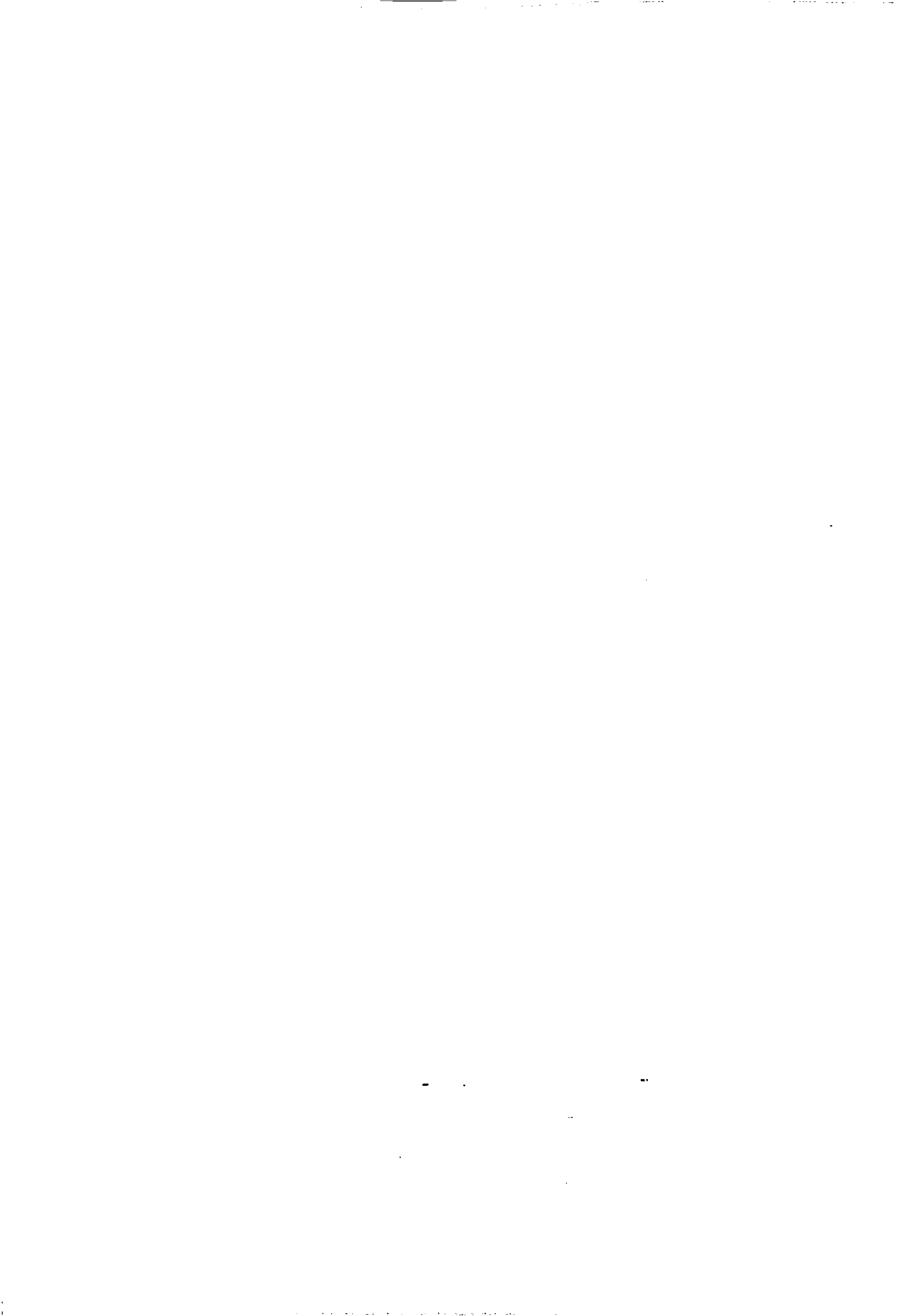
المبحث الأول: بداية نشأة الطرق الصوفية.

المبحث الثاني: أسماء بعض الطرق الصوفية.

المبحث الثالث: أهم الطرق الصوفية المعاصرة.

خاتمة.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده، إنه جواد كريم، وهو أكرم مسؤول، وهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



الفصل الأول

الصوفية وألقابها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف التصوف وألقاب الصوفية.

المبحث الثاني: نشأة التصوف.

المبحث الأول

تعريف التصوف وألقاب الصوفية

للصوفية في تحديد معنى التصوف وبيان حقيقته أقوال لا تحصى كثرة، تدور على المبالغة والدعاوى الجوفاء، حتى قال بعضهم: «وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول»[١]. وقيل: إنه «قد حُدّ التصوف ورُسِم وفُسّر بوجوه تبلغ نحو الألفين»[٢].

وبعض الباحثين يبين أن هذه الكثرة ترجع إلى أن أقوال أئمة الصوفية في تعريف التصوف يدور جلها حول وحدة الوجود[٣].

ولكن أهل العلم بحثوا هذه المسألة من جهة الاشتقاق اللغوي ومن جهة المعنى المراد به

❑ **فأما من جهة الاشتقاق اللغوي:**

فالنسبة في «الصوفية» إلى الصوف؛ لأنه غالب لباس الزهاد من المتقدمين، هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم في المعنى الذي لأجله سُموا صوفية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي، فإنه من أسماء النسب: كالقرشي، والمدني، وأمثال ذلك.

---

(١) «عوارف المعارف» للسهروردي (ص٥٧).

(٢) «قواعد التصوف» لأحمد زروق (ص١٣).

(٣) «وحدة الوجود عند الصوفية» د. أحمد بن عبد العزيز القصير (ص٨٣- ٩١).

فقيل: إنه نسبة إلى (أهل الصُّفَّة). وهو غلط؛ لأنه لو كان كذلك لقيل: صُفِّي.

وقيل: نسبة إلى «الصف المقدم بين يدي الله». وهو أيضًا غلط؛ فإنه لو كان كذلك لقيل: صَفِّي.

وقيل نسبة إلى «الصفوة من خلق الله». وهو غلط؛ لأنه لو كان كذلك لقيل: صَفَوي.

وقيل: نسبة إلى «صوفة بن بشر بن أُدّ بن طابخة»، قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم، ينسب إليهم النساك. وهذا وإن كان موافقًا للنسب من جهة اللفظ، فإنه ضعيف أيضًا؛ لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى، ولأن غالب من تكلم باسم (الصوفي) لا يعرف هذه القبيلة، ولا يرضى أن يكون مضافًا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام.

وقيل- وهو المعروف- : إنه نسبة إلى لبس الصوف»[1].

وقال أيضًا: «والنسبة في الصوفية إلى الصوف؛ لأنه غالب لباس الزهاد[2]. وقال: «وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة، وهي لباس الصوف، فقيل في أحدهم: صوفي. وليس طريقهم مقيدًا بلبس الصوف، ولا هم أوجبوا ذلك، ولا علقوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه؛ لكونه ظاهر

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥، ٦).

(٢) المصدر السابق (١٠/ ٣٦٩).

الحال»[١]. فهذا ما يتعلق بهذه النسبة من جهة لفظها.

❑ **وأما من جهة المعنى:**

فالمراد بهذا اللقب عند كثير من الناس: أهل الزهد والانقطاع عن الدنيا، المشتغلون بما يصلح القلوب من أنواع العبادات، ثم صار بعد ذلك عند هؤلاء وصفًا لمن سلك سبيلهم، وإن لم يتحقق فيه المعنى، بل صار يطلق على من انتسب لهذه الطائفة، ولو عُرف عنه الانحراف في معتقده وسلوكه، كما أنه قد ينتسب إليهم بعض العلماء والأئمة المشهود لهم بالصدق والاستقامة في الأزمنة المتقدمة، لكن صار الغالب على المتأخرين هو الوقوع في البدع الشركية؛ كالاستغاثة بغير الله، والبعد عن السنة النبوية في غالب أنواع العبادات، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فهذا الاسم في الأصل ليس مدحًا، كما أنه ليس ذمًّا، وإن كان قد يُذم من جهة التعصب والحمية، لكن صار بعض أهل العلم يجعله علامة على العبادة والزهد والورع، ونحو ذلك، وجعله بعضهم علامة على بدعة الرجل وانحرافه في مسائل السلوك والاتباع، وهذا أليق بالعصور المتأخرة؛ نظرًا لارتباط هؤلاء المنتسبين لهذا الاسم بالبدع الظاهرة[٢].

وللصوفية ألقاب وأوصاف يُعرفون بها، ففي أول الأمر كان لفظ العُبَّاد والزُّهَّاد يطلق على من اشتغل بالعبادة، وعُرف عنه الزهد، ثم تميز بعضهم بذلك، ثم ظهرت لهم بعد ذلك أسماء خاصة وألقاب جديدة؛

---

(١) المصدر السابق (١١/ ١٦). وانظر: «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص١٧٢)، و«مقدمة ابن خلدون» (ص٤٣٢).

(٢) ينظر في ذلك: «فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية» (٢/ ٢٦٨- ٢٧٠).

كالجوعية، والفقرية، والفكرية، فـ(الجوعية) نسبة إلى الجوع الذي اتصفوا به تقللاً وتزهدًا، و(الفقرية) نسبة إلى الفقر والتقلل من الدنيا، وربما المقصود الفقر إلى الله عز وجل بالتعبد له والاضطرار إليه، و(الفكرية) نسبة إلى الفكرة والتفكر.

ثم اشتهر لقب (الصوفية) بعد ذلك، حيث قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وكان للزهاد عدة أسماء؛ يسمون بالشام: الجوعية، ويسمون بالبصرة: الفقرية والفكرية، ويسمون بخراسان: المغاربة، ويسمون أيضا: الصوفية والفقراء»[(١)].

ثم بعد حدوث الطرق، ودخول المحدثات والرسوم، وما يميز بعضها عن بعض، صار لكل منهم طريقة لها اسم خاص، وشيخ، وغير ذلك من الأسماء والألقاب التي أحدثوها.



(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٦٨).

المبحث الثاني

نشأة التصوف

لقد تنوعت آراء الباحثين في منشأ التصوف، وذلك من جهة سبب وجوده، وانتشاره، وتشابه الأفكار فيه بما قبله من الأديان المنحرفة، والمذاهب الجاهلية، فبعض من يدافع عن التصوف يصر على أن مصدره إسلامي، وأنه متلقًّى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا مصدر له غيرهما[١].

ويزعم بعض هؤلاء أن بداية التصوف كان مع نزول جبريل عليه السلام بالوحي إلى النبي ﷺ، وبعضهم يجعل النبي ﷺ أول صوفي!!

وبعضهم يجعل بداية التصوف عند بعض الصحابة، ويستشهد بالثلاثة النفر الذين أراد أحدهم ألا يتزوج، والآخر ألا ينام، والثالث ألا يفطر.

ومنهم من يعد كبار الصحابة من الصوفية، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم.

ومنهم من يقول: إن التصوف اتخذ الأساس الأول من سلوك الرسول ﷺ، وبعض الصحابة الذين أخذوا على أنفسهم بالعبادة، والزهد، والتقشف، ومجاهدة النفس؛ أي أنهم وضعوا البذور الأولى التي انبثقت منها دوحة[٢] الحياة الروحية، ثم نَمَتْ وآتت أكلها في حياة التابعين ومن تلاهم[٣]!

---

(١) انظر: «تاريخ التصوف» لعبد الرحمن بدوي (ص٤٤).

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة، من أيِّ الشجرِ كانت. «لسان العرب» (د و ح).

(٣) انظر: «الحياة الروحية في الإسلام» (ص١٠، ١١)، و«التصوف والاتجاه السلفي» (ص١٥) د. محمد مصطفى حلمي.

فعلى هذا الزعم الباطل: تكون أحوال الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم لم تؤت أكلها! ولم تنضج الأحوال والمقامات في الأمة حتى جاء أولئك الخلوف المنحرفون!

وكل هذا محاولات يائسة لتصحيح هذا الاتجاه، الذي لا يُشكُّ في مخالفاته وبدعه وشطحاته.

ومن الباحثين من يرى أن مصدر التصوف دخيل على الإسلام، وأن له عدة مصادر أجنبية منحرفة- وسيأتي الحديث عن أنواع هذه المصادر- وهذا الرأي له ما يؤيده من واقع الصوفية، ومن أقوال كبارهم وكلماتهم.

ولكن ينبغي معرفة أمر مهم: وهو أن بدع التصوف وانحرافاته متعلقة- في الأصل- بالشعور والوجدان، والنفس الإنسانية واحدة متشابهة من جهة التصرفات والانفعالات، وسائر النفوس يصيبها الفرح والحزن، والحب والبغض، وتتأثر بالمجاهدة والتعب والإجهاد، وانحرافاتها تكاد تكون متفقة في السبب، وحينئذ فلا عجب من تشابه منحرفة الصوفية من هذه الأمة بمن انحرف من الأمم السابقة، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨]. وقال تعالى عن تكذيب الكفار للرسل: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٣].

فالأمراض الكامنة في النفوس إذا لم تعالج بالوحي المنزل، انحرفت إلى أنواع من الباطل، واستحسنت العقولُ الناقصةُ الأعمالَ الجاهليةَ، بالإضافة إلى تزيين الشيطان ذلك لأهله؛ ولهذا تجد أن الثلاثة النفر الذين في عهد النبي ﷺ لمّا هموا أن يشددوا على أنفسهم في العبادة،

وبالامتناع عن المباحات، فوقعوا في هذا الخطأ، قام النبي ﷺ وخطب الناس على المنبر، وأبطل هذا الانحراف في بدايته[1]؛ لتعلم الأمة سماحة هذه الشريعة، ومحاسن هذه الملة المحمدية وفضائلها، فهي تزكي النفوس، وتصلح الدين، ولا تهمل الدنيا.

إذا عُلم هذا، فيقال: إن القول بأن للتصوف عدة مداخل أجنبية، وأنه دخيل على الإسلام، فيه شيء من المبالغة.

والأقرب: أنه ظهرت بدايته بانحرافات من بعض العبّاد في عصر التابعين، ثم تطورت، وزاد الأمر بسبب الالتقاء بين بعض العباد وبعض الرهبان وضُلال فارس والهند، وغير ذلك من المؤثرات؛ فاجتمع فيه الأمران.

فالأديان والملل السابقة لها أثر في إذكاء الانحرافات وتأصيلها في القلوب، وبعض هذه المؤثرات يكاد الباحث يقطع بأن لها أثرًا عظيمًا في إحداث بعض البدع؛ فمثلاً بدعة الاتحاد والحلول ليست إلا نتيجة لمؤثرات فلسفية وفارسية وبوذية.

❑ بعض المؤثرات الخارجية في التصوف:

هناك عدة مؤثرات خارجية أثرت في التصوف ومنهجه ومسلكه وتصوره، ومنها:

١- التأثير النصراني واليهودي:

ذكر كثير من الباحثين قصصًا تدل على تأثر المتصوفة برهبان أهل الكتاب الضالين، وهذا ليس ببعيد على جهلة العُبَّاد، ومن ذلك:

---

(١) البخاري (٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤٨٧).

لبس بعضهم لباسًا يشبه ألبسة النصارى، واتخاذ الخوانق[١] والرُبُط والزوايا، والعزلة التي أحدثوها، وكذلك تشبُّههم بالرهبان في التبتل وترك النكاح، وتقاربهم في عقيدة الحلول والاتحاد، ووجود بعض المصطلحات النصرانية في كلام بعض الصوفية؛ مثل كلمة (اللاهوت)، و(الناسوت)، و(الرهبوت)، وغيرها[٢].

٢- الأثر الهندي والفارسي والأثر البوذي الوثني:

وثبوت تأثير هذا المصدر أكده كثير من الباحثين؛ نظرًا للتشابه بين الطريقتين في موضوع الأرواح والقول بالتناسخ، وفي طريق الخلاص من الدنيا، وفي إلغاء التمايز ومحو الإشارة، ومن أسباب ذلك انتشار هذه الديانات الباطلة في خراسان والعراق ونحوها[٣].

٣- الأثر اليوناني الفلسفي:

تتشابه عقائد الصوفية ونظرياتهم- إلى حد كبير- مع المدارس الفلسفية

---

(١) الخوانق: جمع الخانق، وهو شعب ضيق في أعلى الجبل. ومنه سمي (الخانقاه) وهو بقعة يسكنها أهل الصلاة والخير والصوفية، قال المقريزي: وقد حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة، وجعلت لمتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى. انظر: «جمهرة اللغة» (خ ق و)، و«تاج العروس» (خنق).

(٢) انظر: «التصوف المنشأ والمصادر» لإحسان إلهي ظهير (ص٤٩)، و«التصوف بين الحق والخلق» لمحمد فهر الشقفة (ص١٢- ٢٠)، و«تاريخ التصوف الإسلامي» لعبد الرحمن بدوي (ص٣٣- ٣٥). وانظر: ما ذكره ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص١٩٠).

(٣) انظر: «وحدة الوجود عند الصوفية» (ص٨٢)، وكتاب «أديان الهند الكبرى» لأحمد شلبي (ص٧٢)، و«فصول في أديان الهند» للأعظمي (ص٤٥، ٤٦)، و«البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها» لعبد الله مصطفى نومسوك. وكتاب «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» للبيروني.

المشهورة، ومن أبرز تلك العقائد: وحدة الوجود، واتحاد الخالق بالمخلوق، يقول أبو الوفاء التفتازاني: «ونحن لا ننكر الأثر اليوناني على التصوف الإسلامي... وليس مِن شكٍّ أن فلسفة أفلوطين الإسكندري التي تعتبر أن المعرفة مدرَكَة بالمشاهدة في حال الغيبة عن النفس وعن العالم المحسوس، كان لها أثرها في التصوف الإسلامي»[(١)]. لكنه أشار إلى أن ذلك التأثير لا يعني أن مصدر التصوف كله هو الفلسفة اليونانية، وأن إقبال الصوفية على هذه الفلسفة كان في وقت متأخر من القرن السادس الهجري وما بعده.

ويقول يوسف بن سليم جشتي، أحد صوفية الهند المعاصرين: «إن التصوف لم يُقتبس ولم يُؤخذ إلا من المنابع الصافية، والمصادر الطاهرة، وعلى رأسها الأفلاطونية المحدثة التي نشرها أفلوطين الإسكندري، وفلسفته في الإلهيات تدور على وحدة الوجود، وهذا عين ما كان يؤمن به الشيخ الأكبر ابن عربي وغيره، كما أومن به أنا أيضًا»[(٢)].

ويقول محمد أبو الفيض المنوفي، شيخ الطريقة الصوفية المعاصرة: «أكثر الصوفية الأعاجم خلطوا بين الفلسفة الفارسية القديمة أو الهندية، وما قبسوه عن اليونانية والأفلاطونية الحديثة، وبين تصوفهم الخاص، وقد تأثر أمثال أولئك ببراهمة الهند والفرس في أزيائهم وطقوسهم، واعتنقوا قدرًا من أفكارهم»[(٣)].

---

(١) كتاب «مدخل إلى التصوف الإسلامي» (ص٣٩) للتفتازاني، وهو شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر سابقًا.

(٢) «التصوف المنشأ والمصادر» لإحسان إلهي (ص١٢٧).

(٣) «جمهرة الأولياء» (١/ ٢٦٦).

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق عن التصوف: إنه «عقيدة فلسفية قديمة، نشأت قبل الإسلام في الفلسفة الاستشراقية المنسوبة إلى أفلوطين والفلسفات الهندية القديمة، والتي ما زالت عقيدة الهند إلى اليوم، وهي القول بوحدة الوجود...»(١).

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن الشيوخ الأكابر ومتقدمي المنسوبين إلى التصوف ليس فيهم من دخل في الانحرافات الفلسفية، وأن تلك الانحرافات دخلت بعد ذلك، فيقول: «والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية»، وأبو القاسم القشيري في «الرسالة»، كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث؛ كالفضيل بن عياض، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبدالله التُّسْتَري، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، وغيرهم، وكلامهم موجود في السنة، وصنفوا فيها الكتب، لكن بعض المتأخرين منهم كان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد، ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة، وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين؛ فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث، وهم خيارهم وأعلامهم، وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام، فهؤلاء دونهم، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة،

---

(١) «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة» (ص١٨). وانظر أيضًا: «تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني» لعبد الرحمن بدوي (ص٢١- ٤٣)، و«نشأة الفلسفة الصوفية» لعرفان عبد الحميد (ص١٣٣)، و«تاريخ الفلسفة اليونانية» لمحمد مرحبا (ص٥١)، و«تاريخ الفلسفة اليونانية» ليوسف كرم (ص١٤)، و«التصوف المنشأ والمصادر» لإحسان إلهي ظهير (ص١٢١).

كهؤلاء الملاحدة»[١].

وقال أيضًا: «وهذا الإلحاد الذي وقع في كلام ابن عربي صاحب «الفتوحات» وأمثاله، في أصول الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، لم يكن في كلام العلماء والشيوخ المشهورين عند الأمة الذين لهم لسان صدق، ولكن هؤلاء أخذوا مذهب الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام؛ كابن سينا وأمثاله، الذي دخل كثير منها في كلام صاحب الكتب المضنون بها على غير أهلها وأمثاله، فأخرجوها في قالب الإسلام بلسان التصوف والتحقيق، كما فعل ابن عربي»[٢].

وقال: «وكثير من ملاحدة المتصوفة؛ كابن عربي، وابن سبعين، والقونوي، والتلمساني، وغيرهم، يوافقونهم في أصولهم، لكن يغيرون العبارات؛ فيعبرون بالعبارات الإسلامية عما هو قولهم»[٣].

وقال أيضًا: «ولكن دخل في طريقهم أقوام ببدع وفسوق وإلحاد، وهؤلاء مذمومون عند الله، وعند رسوله، وعند أولياء الله المتقين، وهم صالحو عباده، مثل من يظن أن لبعض الأولياء طريقًا إلى الله بدون اتباع الرسول، أو يظن أن من الأولياء من يكون مثل النبي أو أفضل منه، أو أنه يكون من هو خاتم الأولياء أفضل من السابقين الأولين، أو أعلم بالله من خاتم الأنبياء، وأمثال هذه المقالات التي تقوَّلها من دخل فيهم من الملاحدة الضالين، ومن هذا الوجه صار قوم متصوفون يتفلسفون»[٤].

---

(١) «الصفدية» (١/ ٢٦٧).

(٢) «الصفدية» (١/ ٢٦٥).

(٣) «الرد على المنطقيين» (ص٢٨١، ٢٨٢).

(٤) «الرد على المنطقيين» (ص٥١٦).

وقال: «ولكن هذا بناه ابن عربي وأمثاله من الملاحدة على أصول الفلاسفة الصابئة، وهؤلاء أخذوا كلام الفلاسفة أخرجوه في قالب المكاشفة والمشاهدة... هذا وأمثاله هو المكاشفة التي يرجع إليها من استغنى عن تلقي الأمور من جهة السمع، وهؤلاء هم الذين سلكوا ما أشار إليه صاحب «الإحياء» وأمثاله، ممن جرى في بعض الأمور على قانون الفلاسفة، وطريق هؤلاء المتفلسفة شر من طريق اليهود والنصارى، وقد بسط الكلام على طريقهم في غير هذا الموضع، والمقصود هنا: أن هؤلاء، مع إلحادهم وإعراضهم عن الرسول وتلقي الهدى من طريقه وعزله في المعنى، هم متناقضون في قول مختلف، يؤفك عنه من أفك، فكل من أعرض عن الطريقة السلفية النبوية الشرعية الإلهية، فإنه لابد أن يضل، ويتناقض، ويبقى في الجهل المركب، أو البسيط»[١].

❑ وقت اشتهار لفظ الصوفية:

لا يختلف أحد في أنه لم توجد هذه الطائفة بهذا الاسم في عهد رسول الله ﷺ، ووقع الخلاف في تحديد تاريخ ظهوره.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما لفظ «الصوفية» فإنه لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ؛ كالإمام أحمد بن حنبل، وأبي سليمان الداراني، وغيرهما، وقد روي عن سفيان الثوري أنه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري، فإنه أول ما ظهرت الصوفية

---

(١) «درء التعارض» (٥/ ٣٥٥، ٣٥٦).

من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد، وعبد الواحد من أصحاب الحسن»[١].

ويذهب كثير من الباحثين المعاصرين إلى أن التصوف- حتى في العصر القديم- لا يراد به أهل الزهد والانقطاع والعبادة، بل هو مذهب منحرف لطائفة ضالة من أول ما أحدثت، ولا يصح نسبة أحد من الصحابة ولا أئمة التابعين إليها[٢].

يقول أبو الوفاء التفتازاني: «من الأدق عدم إطلاق اسم «الصوفية» على زهاد المسلمين حتى أواخر القرن الثاني». وذكر أن مثل هذا الزهد لا تنطبق عليه خصائص التصوف[٣].

هذا عن التصوف قديمًا، وأما ما عليه كثير من متأخري الصوفية، فقد وقعوا في أشد أنواع الغلو والانحراف؛ فالتصوف الآن طريقة خاصة في السلوك، لها قواعد ورسوم يقوم بها المتبع لهذه الطائفة[٤].

وهم ليسوا درجة واحدة، بل أنواع ومراتب، تجمعهم بدع وانحرافات في السلوك وفي غيره، لكن منهم غلاة انتهجوا أقوالاً إلحادية كفرية؛ ولذلك صاروا من أعظم أهل البدع والأهواء الذين ابتلي بهم المسلمون؛ لما يتظاهرون به من الزهد والعبادة، مع أنهم يحملون أنواع الكفر والإلحاد.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦). وانظر: «تلبيس إبليس» (ص١٦٣)، و«مقدمة ابن خلدون» (ص٤٣٢).

(٢) انظر: تعليق الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللَّهُ على كتاب «العبودية» لابن تيمية (ص١٦- ٢١)، و«الفكر الصوفي» للشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق (ص٥، ٦).

(٣) «المدخل إلى التصوف الإسلامي» (ص١٠٧).

(٤) انظر: «تاريخ التصوف الإسلامي» لعبد الرحمن بدوي (ص١٨).

والغريب أن أئمة المتصوفة المنحرفين عن الإسلام؛ كالحلاج، وابن عربي وأمثالهما، لا يزالون معظَّمين ومقدَّسين عند المتأخرين من الصوفية الذين يدعون الاعتدال والوسطية، يقدِّسون كلماتهم الكفرية، ومقالاتهم الإلحادية، ويدافعون عنها؛ مما يدل على خبث الطوية، وسوء المعتقد، وفساد المنهج، فإن هذا أصله من مذهب الباطنية، وبه غيرت الشرائع، وحرفت الأديان.

وبعض الملبِّسين[(١)] ربما يحتج بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام غيره من أهل العلم، في التفصيل الذي يذكرونه في المتصوفة، وما يقترن ببعض أحوالهم، فيثنون عليهم من بعض الوجوه.

فيجب أن يُعلم أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ وعامة أهل العلم، بينوا باطل المتصوفة، ونقضوا أحوالهم المخالفة للشريعة، وردوا سائر بدعهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن الإمام أحمد والأئمة رحمهم الله تعالى، وموقفهم من التصوف: «وله كلام في (الكلام الكلامي) و(الرأي الفقهي)، وفي (الكتب الصوفية) و(السماع الصوفي) ليس هذا موضعه، يحتاج تحريره إلى تفصيل وتبيين كيفية استعماله في حال دون حال، فإنه ينبني على الأصل الذي قدمناه من أنه قد يقترن بالحسنات سيئات، إما مغفورة أو غير مغفورة، وقد يتعذر أو يتعسر على السالك سلوك الطريق المشروعة المحضة إلا بنوع من المحدث؛ لعدم القائم بالطريق المشروعة علمًا وعملًا...»[(٢)].

---

(١) انظر على سبيل المثال: كتاب «التصوف بين التفريط والإفراط» لعمر عبد الله كامل (ص٢٠٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٦٤، ٣٧٦).

وبيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن طريقتهم اشتملت على الممدوح والمذموم، ولاشك أن ما يمدحون به إنما هو ما وافق الكتاب والسنة، وأن ذلك سببه عدم وجود من يقوم بحقائق الإيمان إلا مع وجود شيء من القصور والتفريط؛ فلا يترك الحق حينئذ، وذلك من باب تفويت أعلى المفسدتين وتحصيل أعظم المصلحتين، وفي هذا المقام يقول رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

«ومن أمكنه الهدى من غير انتساب إلى شيخ معين، فلا حاجة به إلى ذلك، ولا يستحب له ذلك، بل يكره له، وأما إن كان لا يمكنه أن يعبد الله بما أمره إلا بذلك، مثل أن يكون في مكان يضعف فيه الهدى والعلم والإيمان، والذين يعلمونه ويؤدبونه لا يبذلون له ذلك إلا بانتساب إلى شيخهم، أو يكون انتسابه إلى شيخ يزيد في دينه وعلمه، فإنه يفعل الأصلح لدينه، وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه، وإلا فلو طلب الهدى على وجهه لوجده، أما الانتساب الذي يفرق بين المسلمين، وفيه خروج عن الجماعة والائتلاف، إلى الفرقة وسلوك طريق الابتداع، ومفارقة السنة والاتباع، فهذا مما ينهى عنه، ويأثم فاعله، ويخرج بذلك عن طاعة الله ورسوله ﷺ»[1].

وحينئذ فلا حاجة لطريقة أغنى الله عنها بمعرفة الكتاب والسنة وطريقة السلف الصالح، والتي قد ضمن فيها الهدى والنور، بل سلوك طريق التصوف والصوفية مع ظهور الحق ووضوحه، وترك طريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هو عين التنكب عن الصراط المستقيم.

وقول ابن تيمية السابق: «وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه، وإلا

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥١٤).

فلو طلب الهدى على وجهه لوجده». يبين أن طريق هؤلاء ليس بمحمود مطلقًا، وأنه يمكن الاستغناء عنه لمن وفقه الله، وإذا ضم إلى ذلك العلم بأحوال المتأخرين من المتصوفة من مقارنة الشرك والبدعة والانحراف العظيم، فحينئذ يكون التحذير من طريقتهم هو الحق الذي لا مرية فيه؛ ولهذا نجد عامة علماء أهل السنة والجماعة والمحققين من الراسخين في العلم في هذا الزمان، مُطْبِقين على التحذير من الصوفية، والنهي عن سلوك طريقتهم؛ لما سبق ذكره.

فدعوة التصوف المشتملة على البدع، دعوة مخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فالواجب أن تكون الدعوة إلى لزوم طريقته ﷺ، وما عليه أصحابه رضي الله عنهم ومن اتبعهم بإحسان، في الظاهر والباطن، في الاعتقادات والعبادات والمعاملات.

والواجب أن ترجع طوائف المتصوفة عن بدعها، وتعلن الانقياد الكامل والاتباع الصادق لمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. والتمسك بالآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم.

ويقال لهؤلاء: ما كان من حق عنيتموه وقصدتموه، فهو مما جاء به الإسلام، ولا داعي لتسميته بالتصوف، وما كان من باطل فأمره ظاهر.

ويقال: لماذا تسمون ما جاء في الإسلام من هذه الأمور باسم التصوف؟! ومعلوم أن التصوف مليء بالشبهات والأغلاط، ومليء بالأمور المنحرفة، بإقرار أربابه والعارفين به، خصوصًا في الأزمان المتأخرة؛ فلا يكاد يوجد متصوف إلا ومعه الغلو والشطح والانحراف، بخلاف الزهد، وترقيق القلوب، ونحو هذه الأمور التي جاءت بها الشريعة؛ فليس فيها ما يُشْكِل

ولله، الحمد والمنة. فلماذا تصرون على الانتساب إلى ما يحمل الحق والباطل- بل هو إلى الباطل أقرب- وترضون بالتسمية التي هي عَلَم على أشياء مخالفة للإسلام، ولا ترضون بالاسم الذي سمانا الله عز وجل، قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨]؟!

فالإصرار على هذه التسمية المحدَثة وإحيائها في الأمة، دليل على ما تقدم ذكره؛ من أن ذلك حيلة لأجل تقرير هذا المذهب المنحرف، ونشره بين الناس، أو جهل كبير بالباطل وأهله.

ويقال أيضًا: إن التصوف في هذه الأزمان المتأخرة وبعد حدوث البدع الكبرى فيه، ليس مجرد سلوك مخالف للسنة، وإنما هو منهج آخر مخالف لمنهج الإسلام، له دعاته وطرقه وأساليبه ومظاهره؛ ولهذا تجد أن التصوف قد صرح بذمه علماء كثيرون، وهذا ما جعل كثيرًا من الباحثين ينظرون في أسباب ذلك، وتوصلوا إلى نتائج، منها: أن لهذه الطائفة استمدادًا من منحرفة أهل الكتاب والوثنيين وغيرهم، كما سيأتي ذكره.

ومن المعلوم أن أوائل أئمة الصوفية المعتبرين لم يذكروا هذا الاسم ولا هذا المصطلح- مصطلح التصوف- بل يعبرون بألفاظ أخرى، كما يعبرون عن الطالب بالمريد والمريدين، ويتكلمون في الزهد والصدق والرعاية لحقوق الله، ونحو ذلك، وليست فيهم البدع الكبرى الموجودة فيمن أتى بعدهم وزعم اتباعهم، وإن وقعوا في بعض المخالفات؛ لكن كما قيل: البدع تكون في أولها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع حتى تصير أذرعًا، وأميالاً، وفراسخ[1].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٢٥).

ومن الأمثلة على قلب الحقائق، ولبس الحق بالباطل، والخداع بزخرف القول: كتاب «التصوف بين الإفراط والتفريط» ومؤلفه: د. عمر عبد الله كامل، وقد ضمن كتابه تقرير الشرك؛ فأجاز طلب المدد من الأولياء والمشايخ، إذا كان المدد معنويًا- بزعمه-كما أثنى على غلاة الاتحادية ودافع عنهم، وكرر مقولة أغبياء المتصوفة بأن الشطحات المنقولة عن هؤلاء مدسوسة عليهم!!

والعجب الذي لا ينقضي، أنهم يعيدون طباعة هذه الكتب التي دُسّ فيها الكفر والشرك، ثم يوزعون هذه الكتب، ويمدحون أصحابها؟!

واشتمل كتابه هذا على المدافعة عن سائر بدع الصوفية الكبرى؛ كبدع الاعتقاد بالرابطة الشركية، وبدع الكشف، ودافع عن مقولات ظاهرها الكفر، ويوهم القارئ بنقله كلامًا عن بعض أئمة السنة، ويترك من كلامهم ما فيه رد عليه.

يقول محمود عبد الرءوف القاسم في بيان الموقف السلبي في مواجهة الصوفية: «ومن هذه الأخطاء: قولهم: إن في المتصوفة من يؤمن بوحدة الوجود، ومنهم من يقول بالاتحاد والحلول، وفيهم الأتقياء الذين يسيرون على منهج الصوفية الحقَّة التي لا تؤمن بهذه الأمور، وطبعًا هذا كلام خطأ كله؛ فالصوفية مذهب واحد، وعقيدتها هي وحدة الوجود، كما أن الذين لا يعرفون وحدة الوجود بينهم هم السالكون الذين لم يبلغوا بعدُ محل ثقة الشيخ. . . وقد استغل المتصوفة هذا الموقف وصاروا كلهم يقولون عن أنفسهم وعن مشايخهم لأتباعهم وأمثالهم: إنهم على الصوفية الحقَّة. ثم ينهالون بالشتائم على الدخلاء على الصوفية، وعلى المبتدعة الذين يقولون بالحلول والاتحاد.

لكن بشيء من التدقيق يتضح أن هاتين الحجتين السلبيتين هما أيضًا من نتاج الصوفية، ومن أساليب المتصوفة في الدفاع عن أنفسهم ومعتقدهم. . . »[(١)].



(١) «الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٨٣٩- ٨٤١).

الفصل الثاني

في نشأة بدع التصوف ومراحلها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مراحل بدع التصوف.

المبحث الثاني: نشأة بدع الصوفية.

المبحث الثالث: أهم بدع الصوفية ونشأتها وبيان بطلانها، وفيه مطالب:

المطلب الأول: قصد القبور وتعظيمها.

المطلب الثاني: تتبع أماكن الأنبياء والصالحين وآثارهم.

المطلب الثالث: بدعة السماع.

المطلب الرابع: بدع الذكر:

١- الذكر الجماعي.

٢- بدع الصعق والغشي.

٣- بدع الذكر بالاسم المفرد.

٤- اعتماد أدعية لم ترد واتخاذها سنة.

المطلب الخامس: بدعة الاحتفال بالمولد.

المطلب السادس: بدعة التشديد على النفس والامتناع عن المباحات.

المطلب السابع: بدع شعائر التصوف (الخرقة - البيعة - العهد - التلقين - حلق الشعر أو قصه على يد الشيخ).

المبحث الأول

مراحل بدع التصوف

إن الباحث في بدع التصوف يجد تدرجها وتنوّعها على مدار الزمان؛ فكلما قرُب العهد بالنبوة قَلَّتْ البدع وكثر المنكر لها؛ فإننا لا نجد هذه البدع في عهد الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإنهم أنكروا على مَن خالف الحق، فقلّتْ البدع، ولم يُرْفع لها رأس.

وكلما بعُد الزمان عن عصر النبوة والصحابة، ضَعُفَ نورُ النبوة والسنة، وقلّ العلم، وظهر الجفاء، وظهرت الغربة في الدين التي أخبر عنها الرسول ﷺ، وظهرت البدع والأهواء، وعظمت الفتن والإحن؛ ولذلك فبدع الصوفية متفاوتة.

والباحثون في موضوع التصوف يُجمِعون على أن التصوف مَرَّ بعدة مراحل، كل مرحلة منها أشد من التي قبلها، وهي على النحو التالي:

المرحلة الأولى: ظهور ظاهرة التشديد في العبادة والزهد، وذلك في عهد التابعين الذين أدركوا بعض الصحابة، وكانوا يعرفون بـ (النُّسّاك، والزهّاد، والبكّائين، والقرّاء، والتوّابين)، ونحو ذلك من الأوصاف التي يوصفون بها؛ لما عرف عنهم من العبادة والزهد والانقطاع عن الدنيا، وترك الشهوات والملاذ المباحة.

وظهر ذلك بالأخص في عُبَّاد الكوفة والبصرة، أشهر مدن العراق آنذاك؛ حيث ظهرت عند بعض هؤلاء علامات التشديد على النفس، والزيادة على ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم.

قال بُرْدٌ مولى سعيد بن المسيب لسعيد بن المسيب: ما رأيتُ أحسنَ ما يصنع هؤلاء! قال سعيدٌ: وما يصنعون؟ قال: يصلي أحدهم الظُّهر، ثمَّ لا يَزال صافًا رجليه يصلي حتى العصر. قال سعيدٌ: ويحك يا برد، أما والله، ما هي بالعبادة، تدري ما العبادة؟ إنما العبادة التفكر في أمر الله، والكف عن محارم الله[١].

وأبرز من يُنسَبون إلى هؤلاء: مجموعة من عُبَّاد التابعين، مثل: الحسن البصري، ومالك بن دينار، وعتبة الغلام[٢]، وعطاء السليمي، وصفوان بن سليم، وغيرهم.

ولم يكن في هذه المرحلة شيء من البدع النظرية، والمجادلات العلمية، كما لم يكن لهؤلاء العُبَّاد لغة رمزية خاصة، ولم يضعوا تعبيرات ولا مصطلحات خاصة بهم، وأهم ذلك أنه لم يكن لهم اسمًا خاصًا يعرفون به[٣].

المرحلة الثانية:

ظهور التصوف بهذا الاسم وانتشار النسبة إليه؛ فأول من عرف بالصوفي: أبو هاشم الكوفي[٤] (ت١٥٠هـ) أو (١٦٢هـ) بالشام بعد أن انتقل إليها، وكان سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول. إن صح ذلك عنه.: «لولا

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٥/ ١٣٥).

(٢) هو: عتبة الغلام بن أبان البصري، كان من نسَّاك أهل البصرة، يصوم الدهر، ويأوي السواحل والجبانة. «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٦٢).

(٣) انظر: «تاريخ التصوف في الإسلام» د. قاسم غني، ترجمة صادق نشأت، (ص٣٣، ٤٣)، و«تاريخ التصوف من البداية حتى نهاية القرن الثاني» لعبد الرحمن بدوي، و«الحياة الروحية في الإسلام» د. محمد مصطفى حلمي.

(٤) انظر: «كشف الظنون» (١/ ٤١٤).

أبو هاشم ما عرفت دقائق الرياء».

وذكر بعض المؤرخين أن (عبدك): عبد الكريم أو محمد المتوفى ٢١٠هـ هو أول من تسمى بالصوفي، وقد ذكر محمد بن أحمد الملَطي الشافعي في كتابه «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» أن (عبدك) كان رأس فرقة من فرق الزنادقة: زعموا أن الدنيا كلها حرام محرم، لا يحل الأخذ منها إلا القوت، من حين ذهب أئمة العدل، ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل، وإلا فهي حرام، ومعاملة أهلها حرام، فحل لك أن تأخذ القوت من الحرام من حيث كان، وسُمُّو بـ«العبدكية»؛ لأن (عبدك) وضع لهم هذا، ودعاهم إليه، وأمرهم بتصديقه [(١)].

وذكر ابن النديم في «الفهرست»: أن جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق المتوفى سنة ٢٠٨هـ هو أول من تسمى بالصوفي، وهو من الشيعة[(٢)].

ولأجل هذه الأوليات ذهب بعض الباحثين إلى أن التصوف دخيل على الإسلام، أنشأه الزنادقة والرافضة الذين عُرفوا بالكيد للمسلمين قديمًا[(٣)].

فالمرحلة الثانية تميزت بظهور أحوال عجيبة وسلوك غريب لكثير من العبَّاد والزُّهَّاد؛ زادوا زيادة واضحة على مَن قبلهم، وتميز بظهور اسم «التصوف» و«الصوفي»، وكانت بداية لانتشار تلك الأسماء والمصطلحات الأخرى المصاحبة لها؛ كـ(الحُبِّ، والفناء).

---

(١) «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» (ص١٠٧، ١٠٨).

(٢) انظر: كتاب «الصلة بين التصوف والتشيع» د. كامل الشيبي (ص١٠٥).

(٣) انظر: «التصوف المنشأ والصادر» لإحسان إلهي ظهير (ص٤٩) وما بعدها، و«الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة» لعبد الرحمن عبد الخالق (ص٤٥، ٦٧) وما بعدها، و«هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل.

◻ ومن تلك الأحوال المنقولة عنهم:

أن بعضهم شيّد لنفسه صومعة يعتزل فيها، وآخر اعتكف في المغارات، ومنهم من جاب الصحاري، وغيرها من القصص المنقولة عنهم التي تدل على التشدد والتنطع وتعمق الجهل، وقلة العقل.

◻ ومن سمات هذه المرحلة:

ظهور بعض العبارات والمصطلحات والكلمات التي في مقام التوكل أو غيره من المقامات، والتي غلطوا فيها غلطًا فاحشًا؛ فخالفوا المشروع.

أو كلمات تدل على تميزهم عن المسلمين؛ كقول بعضهم: «علمُنا. . .»، «طريقتُنا. . .»، «أصولُنا. . . .»[(١)].

وهذا يدل على بداية التحزب والتفرق، وهو طريق البدعة ومخالفة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين.

وفي آخر هذه المرحلة صنفت الكتب التي فيها ذكر الخطرات والأحوال، وخلط الزهد المشروع بغيره، مثل كتب الحارث المحاسبي وغيره.

سئل أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ عن كتب المحاسبي، فقال: إياك وهذه الكتب. فقيل له: في هذه عبرة. فقال: من لم يكن له عبرة في كتاب الله عز وجل، فليس له في هذه الكتب عبرة[(٢)].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (١٠/ ١٩٠)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ١٤٢)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٦٧، ٦٩).

(٢) «تلبيس إبليس» (ص١٦٧). وانظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٨٨) فقد نقل عن الإمام أحمد نحو ذلك.

❑ المرحلة الثالثة:

وهي امتداد للتي قبلها، وهي ما بعد نهاية القرن الثاني الهجري، أو بعد ذلك، وظهر في هذه المرحلة تميز ظاهر جدًّا لمن تتبع التاريخ وسير التراجم، كما ظهر فيها المصطلحات الغامضة والتي تحتمل عدة معانٍ؛ فيحملها بعضهم على ما يوافق الإسلام إحسانًا بالظن، وآخرون يفهمون منها بداية الابتداع، أو حتى الزندقة والكفر؛ لشبهها بعبارات الباطنية.

ومن هذه المصطلحات: الوحدة، الفناء، الاتحاد، الحلول، السُّكْر، الصحو، الكشف، المريد، العارف، الحال... وغيرها.

وممن يدخل في ضمن هذه المرحلة: أصحاب الحارث المحاسِبي ومَن بعدهم، والجنيد، وشيخه السَّرِي السقطي، وشيخ السري: معروف الكرخي، وذو النون المصري، وأبو سعيد الخراز، وغيرهم، رحمهم الله تعالى.

❑ وهذا نموذج من الأحوال المأثورة عن هؤلاء:

فقد صعد أحمد النوري (ت٢٩٥هـ) قنطرة، ورمى بثلاثمائة دينار في الماء واحدًا بعد واحد، ثمن عقار بِيع له!! وهو يخاطب ربه: «حبيبي تريد أن تخدعني منك بمثل هذا!»[١].

وقال أحدهم لأبي بكر الشِّبْلي (ت٣٣٤هـ): كم في خمس من الإبل؟ فقال: في واجب الأمر شاة، وفيما يلزمنا: كلها!![٢].

فهذه الأمور المنكَرة والأحوال الشاذة صارت دين الصوفية وغاية

---

(١) «اللمع في التصوف» للطوسي (ص٢١٠).

(٢) المصدر السابق (ص٤٩٣).

الكمال عندهم؛ ولذلك يقول بعض الباحثين: «بلغ التصوف مرحلة النضج والكمال في القرن الثالث، وازداد تكامله، بحيث يمكن القول بأن التصوف الحقيقي قد بدأ منذ القرن الثالث الهجري»[١].

ويُلْحَظُ في هذه المرحلة ظهور عبارات منحرفة في كلام الصوفية، نتيجة تأثرها بالأفكار المنحرفة والشاذة، وظهر فيهم أيضًا سلوكيات وأفعال غير منضبطة بضابط الشرع الحنيف؛ كتعظيم العشق، والمحبة، والهيام، والذهول، وغير ذلك، ومن أهم ذلك: أن صارت العبادة عندهم ليست الهدف الأعلى، بل اعتبروها مقدمة لما هو أعلى منها!! وتلك هي المقدمات للقول بوحدة الوجود، والقول بالحلول[٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في المرحلة الثالثة ابتدأ ظهور التحزب المنهي عنه، والتعصب للشيوخ الصوفية، الذي هو أصل بداية الطرق الصوفية؛ فصار ظاهرًا جدًّا في هذه المرحلة التعصب لشيخ الطريقة، والتحزب حوله، وصار لكل شيخ طريقه في الآداب والرسوم والذكر، وصار للشيخ سلطة على مريديه[٣].

المرحلة الرابعة:

وهي مرحلة التصوف الحلولي الاتحادي، وظهر القول بحلول الله في خلقه عند بعض الصوفية، وصرحوا في ألفاظهم بهذا الكفر والضلال.

ومن هؤلاء: الحسين بن منصور الحلاج الذي قُتِل ردةً مصلوبًا سنة

---

(١) «تاريخ التصوف» لقاسم غني (ص٧١).

(٢) انظر: «تاريخ التصوف» (ص٧٨)، و«الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٩، ١٠٥).

(٣) «الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٣١٧، ٦٠٣).

٣٠٩هـ، وهو أشهر القائلين بالحلول والاتحاد، واشتهر عنه كفريات عظيمة[١]. وجاء بعده أقوام اقتدوا به وغلوا في الكفر، نسأل الله السلامة والعافية.

وفي هذه المرحلة استقر التصوف، وتمهدت قواعده، وفسرت غوامض أقوال الشيوخ بما يدل على الاتحاد والحلول، وظهر فيها أقطاب الصوفية، كما ظهر التصوف الطرقي واضحًا بوضوح طرقه وتنوعها، وتسربت في هذه المرحلة الفلسفة اليونانية، ومن أسباب ذلك الترجمة الواسعة للكتب اليونانية، وانتشار الباطنية[٢].

ويذكر عباس العزاوي المؤرخ العراقي (ت ١٣٩١هـ) أن غلاة المتصوفة نشطوا في أواخر المائة الثالثة من الهجرة، وأنهم نشطوا بأبي منصور الحلاج، متأثرين بالأفلاطونية الحديثة من جهة، وبالهنود من جهة أخرى، وفي أواسط المائة السادسة اغتنموا فرصة الدعوة، وبثوا كتاب «الإشارات»، ودعا السهروردي المقتول لمذهب الإشراقيين[٣]، ولخص

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٣١٣- ٣٥٤) وانظر: خبر الشبلي معه في (١٣/ ٣٣١)، وانظر: «اللمع» (ص٤٩٠، ٤٩١).

(٢) انظر: ما تقدم عن تأثير الفلسفة على التصوف (ص١٩).

(٣) قال في «كشف الظنون» (١/ ٦٧٧، ٦٧٨): «حكمة الإشراق من العلوم الفلسفية بمنزلة التصوف من العلوم الإسلامية، كما أن الحكمة الطبيعية والإلهية منها بمنزلة الكلام منها. . . والطريق إلى هذه المعرفة من وجهين: أحدهما طريقة أهل النظر والاستدلال، وثانيهما طريقة أهل الرياضة والمجاهدات، والسالكون للطريقة الأولى إن التزموا ملة من ملل الأنبياء عليهم السلام، فهم المتكلمون، وإلا فهم الحكماء المشّاءون والسالكون إلى الطريقة الثانية، أو وافقوا في رياضتهم أحكام الشرع، فهم الصوفية، وإلا فهم الحكماء الإشراقيون، فلكل طريقة طائفتان). ويقول (١/ ٤١٤): «واعلم أن =

الفخر الرازي «الإشارات» وشرحه؛ فكان أكبر دعوة للإشراق وعقائده، سواء باعتباره عقيدة فلسفية، أو عقيدة باطنية، أو تصوفية، فانتشرت الفلسفة الإشراقية في أواخر العهد العباسي، ودخلت في التصوف فزادت في نفوذها، وكثر الاشتغال بها(١).

والمقصود: بيان مدى انحراف التصوف على تنوع مراحله، وما وقع فيه أصحابه من مخالفة لتوحيد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.



= الإشراقيين من الحكماء الإلهيين كالصوفيين في المشرب والاصطلاح، خصوصًا المتأخرين منهم، إلا ما يخالف مذهبهم مذهب أهل الإسلام، ولا يبعد أن يؤخذ هذا الاصطلاح من اصطلاحهم، كما لا يخفى على من تتبع كتب حكمة الإشراق».

(١) انظر: «تاريخ العقيدة الإسلامية في العراق» لعباس العزاوي (مخطوط) (ص٦٦، ٦٧).

المبحث الثاني

نشأة بدع الصوفية

يعرف فساد منهج المتصوفة بمخالفته لهدي الرسول ﷺ، ومعرفة وقت حدوث بدع الصوفية يدل على ذلك، يبينه قوله ﷺ: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[(١)].

والظاهر أن كثيرًا من قواعد البدع المنتشرة عند المتصوفة وجدت قبل ظهور مصطلح (التصوف)؛ فإن هذا المصطلح لم يظهر على هذه الطائفة إلا في زمن أتباع التابعين ومن بعدهم.

وأما بدع التصوف الغالية؛ كبدعة القول باتحاد الخالق مع المخلوق، وغيرها من المقالات الكفرية، فقد نشأت بعد ذلك بمدة، وعلى وجه التقريب في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

❑ ومن الملحوظات في التتبع التاريخي لبدع التصوف ما يأتي:

١- أن مصطلح التصوف بدأ في العراق، ولم يعرف في الحجاز ولا مصر ولا الشام، والسبب في ذلك- والله تعالى أعلم- هو قرب العراق من بلاد فارس.

٢- أن الأخطاء التي وقع فيها العُبَّاد والزهاد صارت- فيما بعد- هي شعار الصوفية الذي يلتزمون به، ودينهم الذي يتمسكون به.

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنة» (٥/ ١٣) والترمذي في «العلم» (٥/ ٤٤) وابن ماجه في «المقدمة» (١/ ١٥). وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

٣- أن الصوفية في القرن الثالث الهجري وما بعده ابتعدوا عن العلم وأهله، بل ورموهم بالألقاب المنفِّرة، فصارت (الحقيقة)، و(علم الباطن)، و(الوصول) لهم، أما الرسوم والمظاهر فلغيرهم!![1].

٤- تفرق الصوفية في القرن الثالث والرابع الهجريين إلى طبقات وأنواع، فمن ذلك: طبقة ترى لزوم طريقة السلف وتدعو إليها، وتنهى عن الابتداع، وبعضهم لم يعرف عنه انحراف في المعتقد، ولكن مع ذلك يبقى انتسابهم لهذه الطريقة، وابتعادُهم عن العلم وأهله من أعظم أسباب انحرافهم وانحراف أتباعهم.

وطبقة أخرى ظهرت عندهم ألفاظ ومصطلحات وحدود؛ كـ(الحال)، و(الذوق)، و(الوجد)، و(الهواتف)، و(المكاشفات)، فأخذها عنهم أتباعهم، وكان لهذا أعظم الأثر في جرف تيار الصوفية إلى ما جاء بعده من انحرافات عظمى، ومن هؤلاء: ذو النون المصري (ت ٢٤٥هـ)، وأبو يزيد البسطامي (ت ٢٦٣هـ)، والحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ) وغيرهم، وهذا الذي حدث في الطبقة الثانية من الصوفية في هذين القرنين، وهي طبقة ظهر فيها عبارات: (الحلول)، و(الفناء)، و(السُّكْر)، و(الصحو)، و(البقاء)، و(العارف)، و(الأحوال)، و(المقامات)، وشاع عندهم التفريق بين (الحقيقة) و(الشريعة)، وهذه الطبقة رُمِيَ كثير من أصحابها بالزندقة والكفر والردة؛ وذلك لما نُقل عنهم من عبارات وألفاظ تدل على ردتهم، وظهر فيهم

---

(١) ينظر موقفهم من العلم وأهله فيما حكاه ابن الجوزي عنهم في كتاب «تلبيس إبليس» (١/ ٣٨٩- ٤٠١).

(الحلولية) ومنهم الحلاج (ت ٣٠٩هـ).

ومن الحق أن هؤلاء مهدوا للباطنية والاتحادية والفلاسفة إدخالَ الكفر باسم الإسلام، وإدخال الإلحاد باسم التصوف.

وهذا ما وقع بعد هذين القرنين، فظهر القول بوحدة الوجود، وظهر ابن عربي الملقب بـ(الشيخ الأكبر) (٥٦٠هـ- ٦٣٨هـ) وهو من أشهر من قرر القول بوحدة الوجود ودعا إليه، وعدَّ نفسه خاتم الأولياء.

وظهر التصوف الفلسفي الإشراقي على يد السهروردي شهاب الدين أبو الفتوح محيي الدين بن حسن (٥٤٩هـ- ٥٨٧هـ) صاحب مدرسة الإشراق الفلسفية التي أساسها الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في حقيقة الوجود، وبين الفلسفة اليونانية.

٥- وفي بداية القرن السادس ظهرت الطرق الصوفية وانتشرت، وكان أشهر تلك الطرق: (الطريقة القادرية) المنسوبة لعبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ)، كما ظهرت (الشاذلية) المنسوبة لأبي الحسن الشاذلي «ت ٦٥٦هـ» وهو من أصحاب ابن عربي، وظهرت (الرفاعية)، وطرق أخرى كثيرة.

٦- وفي القرن السابع والثامن والتاسع لم تظهر نظريات جديدة للصوفية، سوى شرح كتب أصحابهم، والدفاع عنهم، والغلو فيهم، وظهرت كتب تراجم الصوفية.

٧- وهكذا في القرون المتأخرة من العاشر إلى الرابع عشر، لكن ظهرت ألقاب جديدة، مثل: (شيخ السجادة)، و(شيخ مشايخ الطرق الصوفية).

٨- وفي القرن الرابع عشر أُسّس في مصر مجلس أعلى للطرق الصوفية؛ لتنظيمها وترتيبها، والإذن والسماح بافتتاح طرق جديدة، ونحو ذلك.

وللصوفية في العصر الحاضر خطر كبير، ولهم سعي في نشر باطلهم والدعوة إليه، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

١- فالطرق الصوفية منتشرة في العالم الإسلامي انتشارًا واضحًا؛ فلهم نشاط واضح في طبع كتب التصوف الغالية؛ ككتب الشعراني، وكتب ابن عربي، وابن الفارض، وغيرهم، ولهم نشاط واضح في دعم طرقه، ولهم سعي كبير لنشر التصوف في كثير من الوسائل الإعلامية.

٢- ومن أقوال بعض المعاصرين الذين مدحوا هذا التصوف المنحرف:

يقول محمد بن علوي مالكي: «الرجل منهم- يقصد الصوفية- يعيش دائمًا في مقام الإحسان، يرى الله في كل شيء، إنه إيمان يبعث اليقظة الشاملة في الحياة، ويضفي عليها الإحساس العميق بالربانية السارية في الكون، والتي تعيش في أعماقنا». وجوَّز في كتابه أنواعًا من الشرك[(١)].

وله كتاب يقرر فيه الشرك الصريح، سماه: «شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد»، ومن كلامه فيه: «زيارة نبوية» ثم نقل منها: «وقد وفدت عليك زائرًا، وبك مستجيرًا، وجئتك مستغفرًا... فها أنا في حضرتك وجوارك، ونزيل بابك...». ثم ذكر قصيدة اشتملت على الشرك بالله تعالى، وهي (قصيدة الحجرة النبوية الشريفة) ووصفها باليتيمة العصماء، ومن قوله فيها:

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي ... مالي سواك ولا ألوي على أحدِ

إني إذا سامني ضيم يروعني ... أقول يا سيد السادات يا سندي

كن لي شفيعًا إلى الرحمن من زللي[(٢)]

(١) «مفاهيم يجب أن تصحح» لمحمد علوي مالكي (ص٣٢)، وكتاب «شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد».

(٢) كتاب «شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد» (ص٢٠٣).

- ومن ذلك كتابه الذميم الذي سماه: «الذخائر المحمدية»، وضمنه أمورًا منكرة، منها: أنه نسب لرسول الله ﷺ صفات هي من خصائص الله تعالى، كقوله: بأن لرسول الله ﷺ مقاليد السموات والأرض، وأن له أن يُقْطِع الجنة، وأنه يعلم الغيب، والروح، والأمور الخمسة التي اختص الله بعلمها، وأن الخلق خُلقوا لأجله... وغير ذلك مِن ذكره لأبيات تضمنت الاستغاثة بالرسول ﷺ[(١)].
- وقال أبو العلا العفيفي: «التصوف هو المظهر الروحي الديني الحقيقي عند المسلمين؛ لأنه المرآة التي تنعكس على صفحتها الحياة الروحية الإسلامية في أخص مظاهرها، فإذا أردنا أن نبحث عن العاطفة الدينية الإسلامية في صفاتها ونقائها وعنفها وحرارتها، وجدناها عند الصوفية»[(٢)].
- ويقول عبد القادر عطا: «الملاذ الوحيد إذًا لجماعات المسلمين في عصرنا هذا: هو التصوف، هو الذي يمكن أن يعيد إلى الأمة قوتها، وجبروتها الضائع، وحضارتها التي ذبلت»[(٣)].
- ويقول عبد الرحمن عميرة: «قد توخيت عند تناولي لهذا البحث تبيان الجانب الروحي للإسلام، وتوضيح أن التصوف روح الإسلام وجوهره، منه ينبع، وإليه ينتسب، وهو لهذا يلتزم الكتاب والسنة،

---

(١) وقد تولى الرد عليه في هذه الانحرافات فضيلة الشيخ عبد الله بن منيع في كتاب «حوار مع المالكي».

(٢) «التصوف الثورة الروحية في الإسلام» (ص٩٦).

(٣) كتاب «التصوف في عصر النابلسي» (ص١٨).

يلتزمهما قولاً وفعلاً، ويلتزمهما سلوكًا ومنهجًا»[١].

- يقول محمد أمين الكردي النقشبندي: «يلاحظ الذاكر معنى لا إله إلا الله، أي لا معبود ولا مقصود ولا موجود إلا الله، فهذه ثلاث معان؛ الأولى للمبتدِئ، والثانية للمتوسط، والثالثة للمنتهي»[٢].
- ومثال من أهل الطريقة الشاذلية الذين يقولون في دعائهم: «وزُجّ بي في بحار الأحَدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها...»[٣].
- وهذا محمد عثمان عبده البرهاني السوداني، يقول: «وإني أرى أن الشيخ الحلاج عليه رضوان الله تعالى لم يأت ببدعة عندما قال: ما في الجبة إلا الله!!»[٤].

ونقل مقالة الخبيث الصوفي: «لو رأيت أبا يزيد مرة، لكان خيرًا لك من أن ترى الله ألف مرة»[٥].

ونقَل قول الخبيث القائل:

بذكر الله تزداد الذنوب وتنعكس البصائر والقلوب
فترك الذكر أفضل كل شيء وشمس الذات ليس لها غروب

ثم يقول البرهاني مؤيدًا لهذا الكفر: «ولقصر فهم الكثير من الناس يرون

---

(١) «التصوف الإسلامي منهجًا وسلوكًا» (ص٥).
(٢) «تنوير القلوب» (ص٥٤٥).
(٣) انظر: «النفحة العلية في أوراد الشاذلية» (ص١٦).
(٤) «تبرئة الذمة بنصح الأمة» (ص٢٧٤، ٢٧٦).
(٥) «تبرئة الذمة بنصح الأمة» (ص٢٥٢).

أن هذه القصيدة لمنع الذكر، ولكن إنما هي أدب في حضرة الله»!![1].

فأي شيء أعظم من هذا الباطل؟! والله عز وجل يقول: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الحجر: ٢٨].

وكتابه المسمى «تبرئة الذمة بنصح الأمة» مليء بأنواع متعددة من الغلو والخروج عن الشريعة؛ ولهذا جدير بأن يوصف كتابه هذا بأنه خيانة الذمة بغش الأمة.

- وكذلك ما ذكره عبد المحمود نور الدائم في كتابه «الضياء اللائح في مناقب القطب الواضح»، والذي طبع في السودان تحت مسمى «رابطة شباب السمانية»، فقد ذكر فيه من الغلو والشرك والباطل شيئًا كثيرًا، ومنه: فضل رؤية من رأى شيخهم الذي يعبدونه!! بل من رأى من رأى شيخهم إلى سبع مرات لا تمسه النار!! وينسب هذا الكذب والإفك العظيم إلى رسول الله ﷺ[2].



(١) «تبرئة الذمة بنصح الأمة» (ص٢٦٩).

(٢) انظر الكتاب المذكور أعلاه (ص٢٧).

المبحث الثالث

أهم بدع الصوفية ونشأتها وبيان بطلانها

هذا الموضوع هو لبُّ هذا البحث، وينبغي أن يعلم أن هذه البدع التي سترد في الدراسة لا تختص بالصوفية وحدهم، بل قد شاركهم غيرهم فيها، وقد يكون أصلها من غيرهم، ثم صارت فيهم، ولا يعني ذلك أن كل متصوف يفعلها كلها، لكن هي على كل حال مما تميزت به طوائف الصوفية عمومًا.

وإني أُجمل أعظمَ بدع المتصوفة بحسب ما ظهر لي:

١- قصد القبور لتعظيمها، وبناء القباب والمساجد عليها، واعتقاد النفع فيها، وما يتبع ذلك من الأمور الشركية أو المبتدعة.

٢- تتبع أماكن الأنبياء والصالحين والتبرك بها، وتحري العبادة فيها.

٣- بدعة السماع الصوفي المبتدع.

٤- بدع الذكر.

٥- الاحتفال بالموالد.

٦- التشديد على النفس والامتناع عن المباحات.

٧- بدع شعائر التصوف.

المطلب الأول

قصد القبور وتعظيمها والاعتقاد فيها وبناء القباب والمساجد عليها

ليست بدع القبور نوعًا واحدًا، بل أنواع متعددة، تختلف في درجاتها وأحكامها؛ فمنها ما هو كفر وشرك، ومنها ما هو بدعة محرمة، وتختلف في درجاتها.

وتعظيم القبور والغلو فيها، وعبادة أصحابها من دون الله تعالى؛ من أخطر ما وقعت فيه كثير من طوائف الصوفية المنحرفة، وغيرهم من أهل الضلال، فقد صاروا- أو أكثرهم- إلى أنواع من الشرك بنوعيه؛ فبنوا المساجد على القبور، وبنوا على القبور القباب، ووضعوا الأستار والقناديل عليها، وجعلوا لها سدنة وصناديق لاستقبال النذور، ومكنوا من الطواف بها، والعكوف والصلاة عندها، وأوحوا إلى روادها أن هؤلاء الأموات يشفعون لهم، ويغيثون من استغاث بهم، ويجيبون الدعوات، ويكشفون الكربات، وأن لهم من الأحوال والتصرفات ما يعلق قلوب الناس بهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله![1].

---

(١) ولمعرفة بعض واقع هؤلاء وأحوالهم ينظر في المراجع التالية: «الرد على البكري» لابن تيمية (ص٣٤٩)، و«إغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٣٨)، و«تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» لسليمان بن عبد الله، و«فتح المجيد» لعبد الرحمن بن حسن، و«الدر النضيد» للشوكاني، و«رسالة تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» للصنعاني، و«قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر» لصديق حسن خان (ص١٠٧-١١٣)، و«الشرك ومظاهره» للميلي (ص١٠٨)، و«معارج القبول» للحكمي (١/ ٤٧٥)، و«كتاب الله توحيد وليس وحدة» لمحمد الأنور البلتاجي (ص٣٠٢، ٣٢٤).

□ **وأما نشأة هذه البدعة:**

فقد يجد القارئ في تراجم بعض المتقدمين أنواعًا من الغلط والبدع في القبور والمقبورين، ثم صارت هذه الأغلاط سببًا في وقوع هؤلاء المتأخرين في الغلو، ومن ذلك ما نُقل عن بعض المتقدمين أنه قال عن قبر معروف الكرخي: «قبر معروف الترياق المجرب»!! ومثل ما قال بعض هؤلاء: «أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة، ما قصده مهموم إلا فرج الله همه». ونحو ذلك من العبارات المفضية للتعلق بالأموات: بالنذر، أو بالعكوف، أو بتحري الدعاء، وليس في هذا متعلق للقبوريين، فإن المعصوم من عصمه الله، ولكن غاية ما في هذا أن يعرف متى نشأ هذا الباطل.

وهذا لا شك أنه من أسباب الشرك، ومن أعظم البدع المفضية إليه، وبسبب هذا اشتبه على كثير من الجهال الأمر، وظنوا جواز مثل هذه البدع، وصاروا يقصدون القبور، وانتشر البناء على القبور والعكوف عندها، وأول من بنى على القبور هم الرافضة، واشتهر هذا أولاً في الديار المصرية في عهد العبيديين.

وكانت هذه البدعة في بداية القرن الثالث؛ ولهذا ذكر عن بعض الخلفاء إنكار هذا الأمر، كما نقل عن الخليفة العباسي المتوكل أنه أمر في سنة (٢٣٦هـ) بهدم القبر المنسوب إلى الحسن بن علي، وحذر الناس منه[(١)].

ثم تفاقم الأمر، وتوسع بعض المنتسبين للدين والشيوخ، ولُبِّس

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٣١٥).

عليهم، فقبلوا روايات الرؤى والقصص، وصار البناء على القبور وتعظيمها- بل والتبرك بها والاعتقاد في أصحابها- أمرًا منتشرًا بين العوام، ولا سيما الرافضة، ومن تأثر بهم من جهال أهل السنة[١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «وما أحفظ، لا عن صحابي، ولا عن تابعي، ولا عن إمام معروف؛ أنه استحب قصد شيء من القبور للدعاء عنده، ولا روى أحد في ذلك شيئًا؛ لا عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من الأئمة المعروفين، وقد صنف الناس في الدعاء وأوقاته وأمكنته، وذكروا فيه الآثار، فما ذكر أحد منهم في فضل الدعاء عند شيء من القبور حرفًا واحدًا، فيما أعلم، فكيف يجوز- والحالة هذه- أن يكون الدعاء عندها أجوب وأفضل؟! والسلف تنكره ولا تعرفه، وتنهى عنه ولا تأمرنا به، نعم، صار من نحو المائة الثالثة يوجد متفرقًا في كلام بعض الناس: فلان تُرجى الإجابة عند قبره. وفلان يُدعى عند قبره. ونحو ذلك. كما وُجد الإنكار على من يقول ذلك ويأمر به، كائنًا من كان»[٢].

وقال: «وأما ما حُكي عن بعض المشائخ من قوله: إذا نزل بك حادث، أو أمرٌ تخافه؛ فاستوحني، فيكشف ما بك من الشدة، حيًّا كنت أو ميتًا. فهذا الكلام ونحوه إما أن يكون كذبًا من الناقل، أو خطأ من القائل؛ فإنه نقل لا يعرف صدقه عن قائل غير معصوم، ومن ترك النقل

---

(١) وانظر ما حكاه المناوي عنهم في ذلك في «فيض القدير» (٤/ ١٩٩)، و «المدخل» لابن الحاج (٤/ ٢٤٦)، وكتاب «المنحة المحمدية» لمحمد بن عبد السلام خضر اشتمل على ذكر أنواع كثيرة من هذه البدع عند الصوفية.

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٦٨، ٣٦٩). وانظر: ما سيأتي في (ص).

المصدق عن القائل المعصوم، واتبع نقلاً غير مصدق عن قائل غير معصوم؛ فقد ضل ضلالاً بعيدًا. . . فعلم أن هذا من الضلال، وإن كان بعض الشيوخ قال ذلك فهو خطأ منه، والله يغفر له إن كان مجتهدًا مخطئًا، وليس هو بنبي يجب اتباع قوله، ولا معصوم فيما يأمر به وينهى عنه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٨]»[١].

وسيأتي من النصوص ما فيه كفاية ومقنع لمن رزقه الله البصيرة.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

«وقد جاءت خلافة بني العباس وظهر في أثنائها من المشاهد بالعراق وغير العراق ما كان كثيرًا منها كذبًا، وكانوا عند مقتل الحسين بـ(كربلاء) قد بنوا هناك مشهدًا، وكان ينتابه أمراء عظماء، حتى أنكر ذلك عليهم الأئمة، وحتى إن المتوكل لما تقدموا له بأشياء؛ يقال: إنه بالغ في إنكار ذلك وزاد على الواجب. . . ثم أشار إلى خلافة بني العباس في حال استقامتها، فقال: فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد؛ سواء منها ما كان صدقًا أو كذبًا، كما حدث فيما بعد؛ لأن الإسلام كان حينئذ ما يزال في قوته وعنفوانه، ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام؛ لا في الحجاز، ولا اليمن، ولا الشام، ولا العراق، ولا مصر، ولا خراسان، ولا المغرب، ولم يكن قد أُحْدِثَ مشهدٌ لا على قبر نبي، ولا صاحب، ولا أحد من أهل البيت، ولا صالح أصلًا، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٢٥).

حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة؛ فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب، ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر... وقريبًا من ذلك ظهر بنو بويه، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قَوِيَ بنو عبيد القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي رضي الله عنه بناحية النجف، وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول إن قبر علي هناك، وإنما دُفن علي رضي الله عنه بقصر الإمارة بالكوفة...»[1].

فهذا يبين أن أول من عُرف عنهم تعظيم القبور وبناء المشاهد والمزارات؛ هم الرافضة، فالرافضة أصل هذا البلاء؛ وعنهم انتشر في الصوفية وغيرهم.

وأصل هذا أن قول القائل: إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين؛ قول ليس له أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا قاله أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في الدين، ولم يكن في الصحابة، والتابعين، والأئمة، والمشايخ المتقدمين؛ من يقول إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين، لا مطلقًا، ولا معينًا، ولا فيهم من قال: إن دعاء الإنسان عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل من دعائه في غير تلك البقعة. ولا أن الصلاة في تلك البقعة أفضل من الصلاة في غيرها. ولا فيهم من كان يتحرى الدعاء ولا الصلاة عند هذه القبور[2].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٦٥- ٤٦٧)، وانظر: (٢٧/ ١٦٧- ١٦٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٢٨).

وهذه البدع إنما يحدثها أهلُ الغلو والشرك المشبهين للنصارى من أهل البدع الرافضة الغالية في الأئمة، ومن أشبههم من الغلاة في المشايخ[١].

وصرح الذهبي بأن ما يُفعل من الشرك عند القبور في مصر بأنه من آثار الدولة العبيدية فقال: «ولجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف، ولا يجوز؛ مما فيه من الشرك، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية»[٢].

وقريب من ذلك إنكار ابن كثير لهذه الشركيات، كما في ترجمة المرأة الصالحة نفيسة في كتاب «البداية والنهاية»، حيث يقول: «وقد بالغ العامة في أمرها كثيرًا جدًّا، ويطلقون فيها عبارات بشعة، فيها مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك، وألفاظًا كثيرة ينبغي أن يعرفوا بأنها لا يجوز إطلاقها في مثل أمرها. . . والذي ينبغي أن يُعتقد فيها من الصلاح ما يليق بأمثالها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمَر النبيُّ ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاةُ في البشر حرام. ومن زعم أنها تفك من الخشب، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله؛ فهو مشرك. رحمها الله وأكرمها وجعل الجنة منزلها»[٣].

وقال الشيخ الآلوسي في «تفسيره»:

«وقد رأينا كثيرًا من الناس على نحو هذه الصفة، التي وصف الله تعالى بها المشركين، يهشون لذكر أموات يستغيثون بهم، ويطلبون منهم، ويطربون من سماع حكايات كاذبة عنهم، توافق هواهم واعتقادهم فيهم،

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٢٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٠٦).

(٣) «البداية والنهاية» (١٤/ ١٧١، ١٧٢).

ويعظمون من يحكي لهم ذلك، وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده، ونسبة الاستقلال بالتصرف إليه عز وجل، وسرد ما يدل على مزيد عظمته وجلاله، وينفرون ممن يفعل ذلك كل النفرة، وينسبونه إلى ما يكره، وقد قلت يومًا لرجل يستغيث في شدة ببعض الأموات، وينادي: يا فلان، أغثني. فقلت له: قل: يا الله، فقد قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. فغضب، وبلغني أنه قال: فلان منكر على الأولياء!! وسمعت عن بعضهم أنه قال: الولي أسرع إجابة من الله عز وجل!! وهذا من الكفر بمكان، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزيغ والطغيان»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثر الناس- وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته- ما أوحاه قديمًا وحديثًا إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور، حتى آل الأمر فيها إلى أن عُبد أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم، واتخذت أوثانًا، وبنيت عليها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجسادًا لها ظل، ثم جُعلت أصنامًا، وعبدت مع الله...». ثم ذكر حديث ابن عباس عند البخاري في أصل هذه المعبودات، وأنها أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم. ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخ[٢] العلم، عُبدت[٣].

(١) «روح المعاني» (١٢/ ٢٦٦).
(٢) تنسخ: تغير. «فتح الباري» (٨/ ٦٦٩).
(٣) «صحيح البخاري» (٤٩٢٠).

ثم قال: «وقال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته، عن عائشة رضي الله عنها، أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، يقال لها: (مارية)، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله تعالى». وفي لفظ آخر في «الصحيحين»: أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها. فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور، وهذا كان سبب عبادة (اللات)...

قال شيخنا[1]: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور؛ هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم؛ إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنه طلاسم للكواكب، ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر؛ ولهذا نجد أهل الشرك كثيرًا يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السحر،

---

(١) يريد: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

منهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد...

قال: وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور، متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المخادعة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله تعالى، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد، فمِن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، وقد تواترت النصوص عن النبي عليه الصلاة والسلام بالنهى عن ذلك والتغليظ فيه، فقد صرح عامة الطوائف بالنهى عن بناء المساجد عليها؛ متابعةً منهم للسنة الصحيحة الصريحة»[1].

وقد صح عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». ولولا ذلك

---

(١)«إغاثة اللهفان» (١/ ١٨٢- ١٨٤).

(٢) رواه مسلم (٢٣٢).

لأُبرز قبره، غير أنه خُشِي أن يُتخذ مسجدًا[(١)].

وجاء بمعنى هذا عدد من الأحاديث عن النبي ﷺ، وفي «صحيح البخاري» أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أنس بن مالك رضي الله عنه يصلي عند قبر، فقال: القبرَ القبرَ![(٢)].

وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة رضي الله عنهم ما نهاهم عنه نبيهم ﷺ من الصلاة عند القبور، وفِعْلُ أنس رضي الله عنه لا يدل على اعتقاده جوازه؛ فلعله لم يره، أو لم يعلم أنه قبر، أو ذهل عنه، فلما نبهه عمر رضي الله تعالى عنه تنبه».

ثم قال ابن القيم: «وقد ذكر محمد بن إسحاق في «مغازيه» من زيادات يونس بن بكير، عن أبي خلدة خالد بن دينار، قال: حدثنا أبو العالية، قال: لما فتحنا تُسْتَر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما أقرأ القرآن. فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعدُ. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان الليل دفناه، وسوينا القبور كلها؛ لنعمّيه على الناس لا ينبشونه. فقلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حُبست عنهم أبرزوا السرير، فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له: دانيال. فقلت: مذ كم وجدتموه

(١) تقدم.

(٢) رواه البخاري بعد حديث (٤٢٦).

مات؟ قال: مذ ثلاثمائة سنة. قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع.

ففي هذه القصة: ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره؛ لئلا يفتتن به الناس، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به المستأخرون لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله، فهم قد اتخذوا من القبور أوثانًا من لا يداني هذا ولا يقاربه، وأقاموا لها سدنة، وجعلوها معابد أعظم من المساجد!

فلو كان الدعاء عند القبور، والصلاة عندها، والتبرك بها؛ فضيلة أو سنة أو مباحًا، لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر عَلَمًا لذلك، ودعوا عنده، وسنُّوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب، ولا دعاه، ولا دعا به، ولا دعا عنده، ولا استشفى به، ولا استسقى به، ولا استنصر به، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه، وحينئذ فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها والدعاء بأربابها أفضل منه في غير تلك البقعة، أو لا يكون؛ فإن كان أفضل فكيف خفي علمًا وعملًا على الصحابة والتابعين وتابعيهم؟! فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم، وتظفر به الخلوف علمًا وعملًا!

ولا يجوز أن يعلموه ويزهدوا فيه- مع حرصهم على كل خير- لا سيما الدعاء، فإن المضطر يتشبث بكل سبب، وإن كان فيه كراهة ما،

فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه؟! هذا محال طبعًا وشرعًا.

فتعين القِسم الآخر، وهو أنه لا فضل للدعاء عندها، ولا هو مشروع، ولا مأذون فيه بقصد الخصوص، بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة إلى ما تقدم من المفاسد، ومثل هذا مما لا يشرعه الله ورسوله ألبتة، بل استحباب الدعاء عندها شرع عبادة لم يشرعها الله، ولم ينزل بها سلطانًا.

ومن له خبرة بما بعث الله تعالى به رسوله، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره؛ علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب، وأنهم على شيء، والسلف على شيء... والأمر -واللهِ- أعظم مما ذكرنا...»[١].

☐ أسباب ضلال عبّاد الأضرحة والقبور:

لهذا الشرك أسباب أدت للوقوع فيه، من أهمها:

١- التهاون بالبدع عند أول حدوثها واستسهالها، وعدم الإنكار على من فعلها.

٢- الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله، بل جميع الرسل، من تحقيق التوحيد، وقطع أسباب الشرك.

٣- اعتماد الأحاديث المكذوبة المختلقة التي وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله ﷺ، وهي مما يناقض دينه، وما جاء به: كحديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور»! وحديث: «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه»! وأمثال هذه الأحاديث

---

(١) «إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزية (١/ ٢٠٣- ٢٠٥) باختصار.

التي هي مناقضة لدين الإسلام، وضعها المشركون، وراجت على أشباههم من الجهال الضلال، والله بعث رسوله يقتل من حسن ظنه بالأحجار، وجنب أمته الفتنة بالقبور بكل طريق، كما تقدم.

٤- التصديق بحكايات حُكيت لهم عن تلك القبور: أن فلانًا استغاث بالقبر الفلاني في شدةٍ؛ فخلص منها، وفلانًا دعاه أو دعا به في حاجة؛ فقُضيت له، وفلانًا نزل به ضر فاسترجى صاحب ذلك القبر؛ فكشف ضره... وعند السدنة والمقابرية من ذلك شيء كثير يطول ذكره، وهم من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات، والنفوس مولعة بقضاء حوائجها، وإزالة ضروراتها، ويُسمع بأن قبر فلان ترياق مجرب. والشيطان له تلطف في الدعوة؛ فيدعوهم أولاً إلى الدعاء عنده، فيدعو العبد بحرقة، وانكسار، وذلة، فيجيب الله دعوته؛ لِما قام بقلبه، لا لأجل القبر؛ فإنه لو دعاه كذلك في الحانة والخمارة والحمام والسوق؛ أجابه، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيرًا في إجابة تلك الدعوة.

والله سبحانه يجيب دعوة المضطر ولو كان كافرًا، وقد قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ٢٠]. وقد قال الخليل: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ﴾. فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

فليس كل من أجاب اللهُ دعاءه يكون راضيًا عنه، ولا محبًّا له، ولا راضيًا بفعله، فإنه يجيب البر والفاجر، والمؤمن والكافر، وكثير من الناس يدعو دعاءً يعتدي فيه، أو يشترط في دعائه، أو يكون مما لا يجوز

أن يُسأل، فيحصل له ذلك، أو بعضه، فيظن أن عمله صالح، مُرْضٍ لله، ويكون بمنزلة من أُمليَ له، وأُمد بالمال والبنين، وهو يظن أن الله تعالى يسارع له في الخيرات، وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٢٦]. فالدعاء قد يكون عبادة فيثاب عليه الداعي، وقد يكون مسألة تُقضى به حاجته، ويكون مضرة عليه؛ إما أن يعاقب بما يحصل له، أو تنقص به درجته، فيقضي حاجته ويعاقبه على ما جرؤ عليه من إضاعة حقوقه، واعتداء حدوده.

والمقصود: أن الشيطان بلطف كيده يحسن الدعاء عند القبر، وأنه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات الأسحار، فإذا تقرر ذلك عنده، نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به، والإقسام على الله به، وهذا أعظم من الذي قبله، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه، أو يسأل بأحد من خلقه»[1].



(١) «إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزية (١/ ٢١٤- ٢١٦) باختصار.

المطلب الثاني

تتبع أماكن الأنبياء والصالحين وآثارهم

لقد صار قصد القبور والمَشاهد وتتبُّع آثار الأنبياء من أهم الأعمال عند كثير من المتصوفة، حتى بُدِّل الدين، ووقعوا في مشابهة المشركين، ومنحرفي أهل الكتاب، فالسفر لزيارة الأضرحة، وتعظيم الآثار، وتعظيم الأشجار التي يزعمون أنه صلى عندها نبي، أو وليّ، ونحو ذلك؛ أمرٌ اشتهر عند هؤلاء.

نشأة هذه البدعة:

إن التعلق بالأنبياء والصالحين والغلو فيهم وفي آثارهم هو من أسباب حدوث الشرك الذي حذَّر منه النبي ﷺ، وقد كان بداية مثل هذا الشرك في قوم نوح، ولا يزال يتجدد.

وهذه البدعة تظهر نشأتها في عهد التابعين، عندما رأى عمر أولئك الذين يتتبعون آثار النبي ﷺ في مكان صلاته، ومكان بيعة الرضوان، فقطع عمر آثار هذا الإحداث، ولا يزال يقع في النفوس وتتجدد مثل هذه المخالفات.

ثم زاد الأمر على ذلك، حتى وصل الحال بكثير من المنتسبين إلى الإسلام إلى أمور منكرة جدًّا، ووقع ما أخبر به ﷺ من غربة الدين، وعبادة طوائف من أمته الأوثان، قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيَاتُ نساء دَوْس، حول ذي الخَلَصَةِ». وكانت صنمًا تعبدها دَوْس في الجاهلية بتَبَالَةَ[1]. واتباع سنن من كان قبلنا من الأمم

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠٦)، والبخاري (٧١١٦). واللفظ لمسلم. =

التي وقع فيها التبديل والتحريف والشرك.

وأنكر الإمام مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة ما أحدثه بعض الناس من تحري أماكن في المدينة وبعض المساجد، غير قباء، ومسجد الرسول ﷺ؛ فقد روى ابن وضاح: أنهم كانوا يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي ﷺ، ما عدا قباءً وأُحُدًا[(١)].

قال ابن وضاح: «وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه، ولم يتبع الآثار، ولا الصلاة فيها، وكذلك فعل غيره أيضًا ممن يقتدى به، وقدِم وكيع أيضًا مسجد بيت المقدس فلم يَعْدُ فعلَ سفيان».

قال ابن وضاح: «فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين، فقد قال بعض من مضى: كم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس، كان منكرًا عند من مضى!! ومتحبب إليه بما يُبَغِّضُه إليه، ومتقرب إليه بما يبعده منه، وكل بدعة عليها بهجة وزينة!!»[(٢)].

= قال النووي: «أما قوله: (أليات) فبفتح الهمزة واللام، ومعناه: أعجازهن، جمع ألية: كجفنة، وجفنات، والمراد: يضطربن من الطواف حول ذي الخلصة، أي: يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها، وأما (تبالة) فبمثناة فوق مفتوحة، ثم باء موحدة مخففة، وهي موضع باليمن، وليست (تبالة) التي يضرب بها المثل، ويقال: أهون على الحجاج من تبالة؛ لأن تلك بالطائف، وأما (ذو الخلصة) فبفتح الخاء واللام، هذا هو المشهور، حكى القاضي فيه في «الشرح» و«المشارق» ثلاثة أوجه: أحدها: هذا. والثاني: بضم الخاء. والثالث: بفتح الخاء، وإسكان اللام. قالوا: وهو بيت صنم ببلاد دَوْس». «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨/ ٣٣).

(١) «البدع والنهي عنها» لابن وضاح (١٠٧).

(٢) «البدع والنهي عنها» لابن وضاح (١٠٧) (ص٨٨- ٨٩).

وزاد الأمر وتفاقم الخَطْب، حتى عُظمتْ الأضرحة والمزارات والقبور، وصار ترابها- عند كثير من المتأخرين- مباركًا نافعًا مؤثرًا، بل صارت بعض الأشجار والأحجار والصخور مقامات مقصودة، تَقبَلُ النذر، وتشفي المرضى، وتُقصد للزيارة والجلوس والعكوف، وصارت المغارات والكهوف والمواضع تحاك لها القصص، وتروى الأباطيل بأن هذه المغارة قد مر فيها الخضر، أو جلس عليها نبي، أو كان فيها رجل صالح، ثم يزورها بعض المنتسبين إلى العلم والشيوخ الجهال بالسنة، ثم العوام والطَّغام، فلا تسأل عما يحدث من الشرك الأكبر والتعلق بغير الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهل هذا إلا مثل ما قاله رسول الله ﷺ في ذات الأنواط، التي طلب بعض الصحابة مثلها؛ فعن عن أبي واقد الليثي: أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط. قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة. قال: فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم سُنَّةً سُنَّةً»(١).

---

(١) رواه أحمد (٢١٨٩٧)، الترمذي (٢١٨٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».
زاد في المعجم الكبير للطبراني، قال واقد: «ونحن حدثاء عهد بكفر». قال في «فتح المجيد»: « قال أبو السعادات: سألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك. و(أنواط): جمع نوط، وهو مصدر سمّي بها المنوط، ظنوا أن هذا أمر محبوب عند الله، وقصدوا التقرب به، وإلا فهم أجل قدرًا من أن يقصدوا مخالفة النبي صلي الله عليه وسلم».

إن الأمر الذي وقع فيه المتأخرون أشد بكثير من تعليق الأسلحة على الشجرة تبركًا، إنه سلوك سبيل المشركين المبدِّلين المحرِّفين.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي من أئمة المالكية: «فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قِبَلها، ويضربون بها المسامير والخرق؛ فهي ذات أنواط، فاقطعوها»[(١)].

وقال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي، المعروف بـ(أبي شامة) في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث»: «ومن هذا القِسم أيضًا ما قد عمَّ الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة: تخليق الحيطان والعُمُد، وسَرْج مواضع مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي من بين عيون، وشجر، وحائط، وحجر.

وفي مدينة دمشق- صانها الله تعالى من ذلك- مواضع متعددة: كعونية الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر، في نفس قارعة الطريق، سهَّل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث».

ثم ذكر الحديث المتقدم وكلام الطرطوشي الذي ذكرنا، ثم قال: «ولقد

---

(١) «الحوادث والبدع» (ص١٨، ١٩).

أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبيناني- رحمه الله تعالى- أحد الصالحين ببلاد أفريقية في المائة الرابعة، حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبدالله محمد بن أبي العباس المؤدب، أنه كان إلى جانبه عين تسمى (عين العافية)، كانت العامة قد افتتنوا بها، يأتونها من الآفاق، مَن تعذر عليها نكاح، أو ولد، قالت: امضوا بي إلى (العافية). فتعرف بها الفتنة، قال أبو عبد الله: فأنا في السَّحَر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحق نحوها، فخرجتُ فوجدتُه قد هدمها وأذن الصبح عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأسًا. قال: فما رفُع لها رأس إلى الآن»[1].

وذكر ابن القيم نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: «فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله! ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر، وهذه الشجرة، وهذه العين تقبل النذر!! أي: تقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة وقربة يَتقرب بها الناذر إلى المنذور له»[2].

ومن أهم أسباب ذلك: الغلو في الصالحين، وتتبع آثارهم، والتعلق بذلك، أو ظن نفع مكان وصلاحيته للدعاء، وتحري العبادة فيه.

ومن ذلك ما وقع فيه كثير من الصوفية وغيرهم من استحباب التبرك بذوات الصالحين: من ريقهم، وعرقهم، وثيابهم، ونحو ذلك.

❑ وهذا خطأ مخالف للسنة من أوجه:

منها: عدم جواز مقارنة النبي ﷺ بالصالحين، فضلاً عن المساواة في الفضل والبركة.

---

(١) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص٤٠- ٤٣).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢١٢).

ومنها: أن الصحابة ﷺ لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي ﷺ؛ لا في حياته، ولا بعد موته، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، فلم يفعلوا ذلك مع أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ونحوهم، ولم يفعل هذا التابعون مع كبارهم وفضلائهم، فدل على إجماع القرون المفضلة على أن ذلك من خصائص النبي ﷺ.

ومنها: أن الشخص الحي لا تؤمن عليه الفتنة وأن يختم له بخاتمة السوء، والأعمال بالخواتيم.

ومنها: أن فعل هذا مع غير النبي ﷺ لا يؤمن أن يفتنه، وتعجبه نفسه، فيورثه العجب والكبر والرياء، فيكون هذا كالمدح في الوجه، بل أعظم.

ومن ذلك: أن هذا الفعل من أسباب الغلو، وهو قد يفضي إلى الشرك، كما وقع لكثير من هؤلاء.

ولا يدخل في هذا ما يكون من بركات الصالحين من المنافع الدينية: كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والقدوة الحسنة، والمحافظة على الصلوات، وحسن أخلاقهم، والإحسان إلى الآخرين.

ومن ذلك اعتقادهم ما يحصل بسبب بركة الصالحين؛ من النصر على الأعداء، والبركة في معاشهم، ففي «صحيح البخاري» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»[1]. وفي رواية للنسائي: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها وبدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»[2].

---

(١) البخاري (٢٦٨١).

(٢) النسائي (٦/ ٤٥).

فهذا حق لا شك في ثبوته، ولكن لا يقتضي هذا إحداث التبرك بذواتهم في حياتهم أو بعد مماتهم.

وقد جاءت النصوص والآثار عن النبي ﷺ وأصحابه بالنهي عن التعلق بغير الله؛ فمن ذلك حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مرّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»[١].

وأخرج ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» من طريق المعرور بن سويد، قال: خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة، فلما أصبحنا صلى الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهبًا، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يا أمير المؤمنين، مسجدٌ صلى فيه رسول الله ﷺ فهم يأتون يصلون فيه. فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا؛ يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبِيَعًا، من أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصلِّ، ومَن لَا، فليمض ولا يتعمدها[٢].

وأخرج ابن أبي شيبة: من طريق الأعمش، عن المَعْرُور بن سويد قال: خرجنا مع عمر في حجة حجها، فقرأ بنا في الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ①﴾، و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ①﴾، فلما قضى حجه

---

(١) الترمذي (٢١٨٠)، أحمد (٥/ ٢١٨) وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) «البدع والنهي عنها» لابن وضاح (١٠٥، ١٠٦).

ورجع والناس يبتدرون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ. فقال: هكذا هلك أهل الكتاب، اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعًا[١]، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل[٢].

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عون، عن محمد بن سيرين، قال: كانوا يكرهون أن يغيروا آثار الأنبياء[٣].

وأخرج ابن وضاح، عن نافع مولى ابن عمر قال: أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة[٤].

وروى الإمام أحمد في «المسند»: أن عمر رضي الله عنه كان بالجابية... فذكر فتح بيت المقدس... فقال لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ. فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه، فكنس الكناسة في ردائه، وكنس الناس[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فعمر رضي الله عنه عاب على كعب الأحبار

---

(١) البِيعة، بالكسر: كنيسة النصارى. وقيل: كنيسة اليهود. والجمع بِيَع. «لسان العرب» (ب ي ع).

(٢) «المصنف» لابن أبي شيبة (٢/ ١٥١ رقم ٧٥٥٠).

(٣) «المصنف» (٢/ ١٥١ رقم ٧٥٥١).

(٤) «البدع والنهي عنها» لابن وضاح (١٠٧).

(٥) «المسند» (٢٦١).

مضاهاة اليهودية، أي: مشابهتها في مجرد استقبال الصخرة؛ لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقية، وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها، وقد كان لعمر رضي الله عنه في هذا الباب من السياسات المحكمة ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية»[1].

ولما خاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مثل هذه الاعتقادات الفاسدة، جاء إلى الحجر الأسود فقبله، وقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يُقبِّلك ما قبَّلتك[2].

وقد أنكر ابن عباس على معاوية رضي الله عنهما لما استلم الأركان الأربعة من البيت، فقد روى البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه طاف مع معاوية رضي الله عنه بالبيت، فجعل معاوية يستلم الأركان كلها، فقال له ابن عباس: لِمَ تستلم هذين الركنين ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمهما؟! فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجورًا. فقال ابن عباس: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الحشر:]. فقال معاوية: صدقت[3].

وأنكر قتادة رحمه الله على الذين يمسحون مقام إبراهيم، كما ذكر الأزرقي في كتاب «تاريخ مكة»، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. قال: إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئًا مما تكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٣٦).

(٢) البخاري (١٤٩٤)، مسلم (٢٢٣٠).

(٣) البخاري (١٤٩٤)، أحمد (١/ ٢١٧).

اخلولق وانمحى[١].

وروي عن مجاهد وعطاء النهي عن تقبيل المقام ومسه[٢].

فهذه بعض الآثار عن الأئمة المتقدمين في إنكار هذه البدع في أوائل حدوثها، وبناءً على ما تقدم يتضح بطلان هذه البدعة التي يتمسك بها كثير من الصوفية، والله المستعان.



(١) «تاريخ مكة» (٢/ ٤٠)، وأخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (١/ ٥٣٧).

(٢) «المصنف» لعبد الرزاق (٨٩٥٧)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (٤/ ٦١).

المطلب الثالث: بدعة السماع

المراد به التقرب إلى الله تعالى بسماع أناشيد وأبيات غزلية، أو وعظية ملحَّنة، فيها ذكر الهجر والوصل، والقرب والبعد، والعذاب والملامة، والعذل واللوم، والحب والعشق، والحبيب والمعشوق، والقدود والخدود، والحسن والجمال، والخمر والكؤوس، والساقي والسيقان، مع الآلات، وبدونها، مكاء وتصدية، وهذا حال هؤلاء الصوفية، وهذا سماعهم، ويعرضون عن سماع القرآن والأحاديث.

❑ **نشأة هذه البدعة:**

وهذا إنما أحدث في أواخر المائة الثانية، كما تواتر عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى أنه قال: خَلَّفْتُ ببغداد شيئًا أحدَثَتْه الزنادقة يسمونه: (التغبير)[١]، يصدون به الناس عن القرآن[٢].

ونقل أبو بكر الطرطوشي: عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه قال في الغناء: «إنما يفعله عندنا الفساق»[٣].

وقال يزيد بن هارون: ما يُغَبِّر إلا الفاسق، ومتى كان التغبير؟!.

وسئل عنه الإمام أحمد؟ فقال: أكرهه، هو محدث. قيل: أنجلس

---

(١) التغبير: تهليل أو ترديد صوت يردد بقراءة وغيرها... وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تغبيرًا، كأنهم إذا تناشدوه بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا... سموا بها لأنهم يرغبون الناس في الغابرة، أي الباقية، أي الآخرة، ويزهدونهم في الفانية، وهي الدنيا. «تاج العروس» (١٣/ ١٩٥) (غ ب ر).

(٢) «التصوف والمجتمع» لعبد اللطيف الشاذلي (ص. ١٠٥)

(٣) نقل ذلك ابن قيم الجوزية عن كتاب «السماع» للطرطوشي في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٢٧).

معهم؟ قال: لا[١].

وأما الصوفية فيرونه دينًا وقربة وعملًا صالحًا!!

بل ربما صاحَب ذلك الرقصُ في بعض الأحيان، يقول أحد هؤلاء: «الرقص عند الصوفية تعبيرات الأعضاء، وهو مما جرى عليه الشيوخ قرنًا بعد قرن، وتجويزه كان بناء على كونه: عليه الجمهور! واتفق عليه الصوفية، وبه عمل الناس شرقًا وغربًا!!!»[٢].

ويجوّزون آلات الطَّرَب في هذه المجالس، وهي عندهم مما يعين على الذكر!![٣].

ويذكرون في سماعهم وغنائهم الغلمان والخمور والكؤوس والخدود والقدود، وزعموا أنهم عنوا بها معاني مجازية، وأثنوا على الأوتار والمعازف.

ومن ذلك قول عبد الغني النابلسي في ديوانه:

تجلى وجه محبوبي ... وهذا كل مطلوبي

فيا نار العدا ذوبي ... بعيد عنك مشروبي

ومن ذلك قوله:

علينا الخمر قد دارت ... بها ألبابُنا حارتْ

وأطيار الهوى طارت ... بترتيب وأسلوبِ

وأجازت (الطريقة الميلوية) عند الإنشاد العزف على الآلات الموسيقية

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٦٩).

(٢) يُنظَر «إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزية (١/ ٢٣٩).

(٣) «الحاوي في فتاوى عبد الله بن الصديق الغماري» (ص٢٨).

على اختلاف أنواعها، وفي الحضرة يرقص الْمرْدُ[١]، وهم يلبسون الفوط كالخراطات النسائية.

وينثنون ويتمايلون على أنغام الآلات الموسيقية، مما يثير الشهوات ويحرض على الفواحش[٢].

ويقول د. زكي مبارك: إن مجالس الصوفية كانت تنقلب أحيانًا إلى مجالس فنية، الغرض منها الغناء، وكانت مدارس لتخريج المغنيين!![٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وأما سماع المكاء والتصدية: وهو الاجتماع لسماع القصائد الربانية؛ سواء كان بكفٍّ، أو بقضيب، أو بدفٍّ، أو كان مع ذلك شبَّابة، فهذا لم يفعله أحد من الصحابة، لا من أهل الصُّفَّة، ولا من غيرهم، بل ولا من التابعين، بل القرون المفضلة التي قال فيها النبي ﷺ: «خير القرون الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[٤]. لم يكن فيهم أحد يجتمع على هذا السماع، لا في الحجاز، ولا في الشام، ولا في اليمن، ولا العراق، ولا مصر، ولا خراسان، ولا المغرب.

وإنما كان السماع الذي يجتمعون عليه سماع القرآن، وهو الذي كان

---

(١) المُرْد: جمع (أمرد)، وهو: الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطر شاربه ولم تبد لحيته... ومنها قيل للغلام: أمرد. «لسان العرب» (م ر د).

(٢) «التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق» (٢/ ١٨٩- ٢٠٠) (٢/ ٢٦١، ٢٧٨)، وانظر: «الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٣٤٢- ٣٤٧).

(٣) «التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق» (٢/ ٢٦٧ - ٢٦٨).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (٤٥٩٩) عن ابن مسعود بنحوه.

الصحابة من أهل الصُّفَّة وغيرهم يجتمعون عليه؛ فكان أصحاب محمد ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحدًا منهم يقرأ، والباقي يستمعون»[١].

وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أن ما يُنقل من استماع بعض الصحابة للحداء بقصد صلاح القلوب، أو أنهم تواجدوا لأجل ذلك؛ كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم.

وقال أيضًا:

«أما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده، وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم، فهو سماع آيات الله تعالى، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة، قال الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨]. وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]... وبهذا السماع أمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وعلى أهله أثنى، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]. وقال في الآية الأخرى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨]. فالقول الذي أمروا بتدبره هو القول الذي أمروا باستماعه، وقد قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]... وكما أثنى على هذا

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٨).

السماع، ذم المعرضين عن هذا السماع؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠]... وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون، وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحدًا منهم أن يقرأ، والباقون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى: يا أبا موسى، ذكِّرنا ربنا. فيقرأ وهم يستمعون.

وهذا هو السماع الذي كان النبي ﷺ يشهده مع أصحابه ويستدعيه منهم، كما في «الصحيح» عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن». قلت: أقرؤه عليك وعليك أنزل؟ فقال: «إني أحب أن أسمعه من غيري». فقرأت عليه سورة «النساء»، حتى وصلت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]. قال: «حسبك». فنظرت، فإذا عيناه تذرفان[(١)]...

وأما (سماع المكاء والتصدية) وهو التصفيق بالأيدي، والمكاء مثل الصفير ونحوه، فهذا هو سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]. فأخبر عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت بالفم قربة ودينًا، ولم يكن النبي ﷺ وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع، ولا حضروه قط، ومن قال: إن النبي ﷺ حضر ذلك؛ فقد كذب عليه باتفاق

---

(١) البخاري (٤٢١٦).

أهل المعرفة بحديثه وسنته...

وبالجملة، فقد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يشرع لصالحي أمته وعبَّادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة، مع ضرب بالكف، أو ضرب بالقضيب، أو الدف، كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة، لا في باطن الأمر ولا في ظاهره، ولا لعامي ولا لخاصي، ولكن رخّص النبي ﷺ في أنواع من اللهو في العرس ونحوه، كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح، وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف، ولا يصفق بكف، بل قد ثبت عنه في «الصحيح» أنه قال: «التصفيق للنساء، والتسبيح للرجال»[1]. و: «لعن المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»[2].

ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء، كان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثًا، ويسمون الرجال المغنين مخانيث، وهذا مشهور في كلامهم...»[3].

ويبين رحمه الله سبب ضلالهم في هذا السماع المحدث الذي أحدثوه: «أن هذا السماع المحدث مجمل ليس فيه تفصيل؛ فإن الأبيات المتضمنة لذكر الحب والوصل، والهجر والقطيعة، والشوق والتتيم، والصبر على العذل، واللوم، ونحو ذلك، هو قول مجمل يشترك فيه محب الرحمن

---

(١) البخاري (١١٢٦) مسلم (٦٣٩) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٥٤٣٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥).

ومحب الأوثان، ومحب الإخوان، ومحب الأوطان، ومحب النسوان، ومحب المردان، فقد يكون فيه منفعة إذا هيج القاطن وأثار الساكن، وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله، لكن فيه مضرة راجحة على منفعته، كما في الخمر والميسر؛ فإن: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

فلهذا لم تأت به الشريعة، لم تأت إلا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة، وذلك أنه يهيج الوجد المشترك، فيثير من النفس كوامن تضره آثارها، ويغذي النفس ويفتنها، فتعتاض به عن سماع القرآن، حتى لا يبقى فيها محبة لسماع القرآن، ولا التذاذ به، ولا استطابة له، بل يبقى في النفس بغض لذلك، واشتغال عنه، ومِن نُكَته أن الصوت يؤثر في النفس بحسنه، فتارة يفرح، وتارة يحزن، وتارة يغضب، وتارة يرضى، وإذا قوي أسكر الروح، فتصير في لذة مطربة من غير تمييز، كما يحصل للنفس إذا سكرت بالرقص، وللجسد أيضًا إذا سَكِر بالطعام والشراب، فإن السُّكْر هو الطرب الذي يؤثر لذة بلا عقل، فلا تقوم منفعته بتلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل التي صدت عن ذكر الله وعن الصلاة، وأوقعت العداوة والبغضاء»[١].

وقال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

«ومن مكايد عدو الله ومصايده التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصدّ بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٩٣، ٥٩٤) باختصار.

ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة، وحسنه لها مكرًا منه وغرورًا، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه، فقبلت وحيه، واتخذت لأجله القرآن مهجورًا، فلو رأيتهم عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا ولا كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك، وقد خالط خمارة النفوس ففعل فيها أعظم مما يفعله حُمَيَّا[1] الكؤوس، فلغير الله- بل للشيطان- قلوب هناك تُمَزّق، وأثواب تُشقّق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل السُّكْر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحيله، وأجلب عليهم برَجِله وخيله، وخز في صدورهم وخزًا، وأزَّهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزًّا، فطَوْرًا يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذباب ترقص وسيط الديار، فيا رحمة للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام! ويا سوأتاه من أشباه الحمير والأنعام! ويا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام...»[2].

(١) الحُمَيَّا- كالثُّرَيَّا- من الكأس: سورتُها وشدتُها، أو أول سورتها وشدتها، أو إسكارها وحدَّتُها، أو أخذها بالرأس. يقال: سارت فيه حميا الكأس، أي: سورتها، والمعنى: ارتفعت إلى رأسه. «تاج العروس» (ح م ي).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٥٤)، وانظر: «الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٣٥٠).

قال الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «الرقص دين الكفار، وعباد العجل، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من الوقار...»[١].

وقال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «وأما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة، مشبهة لرعونة الإناث، لا يفعلها إلا راعن، أو متصنع كذاب»[٢].

وقال السويدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «ومن البدع المنكرة: ما يستعمله المتصوفة من أذكار اشتملت على الدفوف والطبلات والغناء وأنواع الرقص، ويسمونه حالاً، وتراهم يعملون ذلك، ومغنيهم ينشدهم من الشعر المشتمل على ما لا يرضي الله تعالى، ويحضره الفسقة والمُرْد والنساء، فيحصل من ذلك ما تظهر به شعائر الفسق والعصيان...»[٣].

نعم، والله لقد صدوا عن سبيل الله تعالى، وشوهوا وحرفوا الدين بهذه المنكرات والقبائح، فيا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام.



(١) «كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع» مطبوع بهامش كتاب «الزواجر» لابن حجر الهيتمي (١/ ٥٢).

(٢) «قواعد الأحكام» (٢/ ٢٢٠).

(٣) «العقد الثمين في بيان أصول الدين» للسويدي (ص٧٢٥، ٧٢٦).

المطلب الرابع: بدع الذكر

ذِكْرُ الله تعالى من أجلّ العبادات وأفضل الطاعات، وأفضل الذاكرين هو رسول الله محمد ﷺ، وكان يذكر الله تعالى على كل أحيانه، واقتدى به أصحابه وأتباعهم بإحسان رضي الله عنهم، ولكن حصل انحراف لبعض الناس في هذه العبادة الجليلة بأنواع من الغلو، والزيادة عن الأمر المشروع؛ مثل الذكر الجماعي، والذكر بالاسم المفرد، والصعق، والغشي، وغير ذلك.

❑ ١- بدعة الذكر الجماعي:

المقصود بها الاجتماع لأداء الذكر بطريقة موحدة ومرتبة، وبصوت جماعي مشترك.

❑ نشأة هذه البدعة:

لبيان أول ما وقعت هذه البدعة في الإسلام أورد ما رواه الدارمي رحمه الله في «سننه»: أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قال لابن مسعود رضي الله عنه: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أر- والحمد لله- إلا خيرًا. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قومًا حِلَقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصًى، فيقول: كبروا مائة. فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة. فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة. فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا؛ انتظار رأيك، وانتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم. ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحِلَق، فوقف

عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصًى نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدّوا سيئاتكم! فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرعَ هلكتَكم؟ هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تُبْلَ، وآنيته لم تُكْسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد؛ أَوْ مفتتحو باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه؛ إن رسول الله ﷺ حدثنا: «أن قومًا يقرءون القرآن، لا يجاوز تراقيهم». وَايْم الله، ما أدري، لعل أكثرهم منكم.

ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحِلَق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج[١].

وفي رواية أخرى: من طريق عطاء بن السائب، عن أبي البختري قال: أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قومًا يجلسون في المسجد بعد المغرب، فيهم رجل يقول: كبروا الله كذا وكذا، سبحوا الله كذا وكذا، واحمدوا الله كذا وكذا. قال عبد الله: فيقولون؟ قال: نعم. قال: فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم. فأتاهم وعليه برنس له، فلما سمع ما يقولون قام، وكان رجلًا حديدًا، فقال: أنا عبد الله بن مسعود، والله الذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلمًا، ولقد فَضَلْتم أصحاب محمد ﷺ علمًا! فقال معضد: والله ما جئنا ببدعة ظلمًا، ولا فَضَلْنا أصحاب محمد علمًا. فقال عمرو بن عتبة: يا أبا عبد الرحمن، نستغفر الله. قال: عليكم بالطريق فالزموه، فوالله لئن فعلتم لقد سبقتم سبقًا

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٢٨٦- برقم ٢١٠).

بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالاً لتضلنَّ ضلالاً بعيدًا[١].

وسيأتي توسع الصوفية في هذه البدعة وتطورها عندهم في الفقرة الآتية.

❐ ٢- بدع الصعق والغشي:

مثل الرقص، والقفز، والتمايل، والسقوط، والصياح، والرعدة عند الذكر، ونحوها، وأول ما حدثت هذه البدعة في عهد التابعين، وقد أنكر ابن سيرين وغيره من أهل العلم على من فعل ذلك.

فعن عمرو بن مالك قال: بينما نحن يومًا عند أبي الجوزاء يحدثنا، إذ خرّ رجلٌ فاضطرب، فوثب أبو الجوزاء فسعى قِبَله، فقيل: يا أبا الجوزاء إنه رجل به الموت. فقال: إنما كنت أراه من هؤلاء القفازين، ولو كان منهم لأمرت به وأخرجته من المسجد، إنما ذكرهم الله فقال: تفيض أعينهم وتقشعر جلودهم[٢].

❐ ٣- بدعة الذكر بالاسم المفرد أو المضمر:

ينقسم الذكر عند الصوفية إلى ذكر للعامة، وذكر للخاصة.

فذكر العامة- عندهم- هو الوارد في السنة، مثل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، والله أكبر،

---

(١) «الحلية» لأبي نعيم (٤/ ٣٨٠، ٣٨١). وأخرج هذه القصة ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» من وجه آخر مختصرًا (١٤، ٢١، ٢٢، ٢٧).

(٢) «الحلية» لأبي نعيم (٣/ ٨٠). يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. وإلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]. وانظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣١٩- ٣٢٣).

وسبحان الله، والحمد لله... ونحو ذلك.

وأما ذكر الخاصة؛ فهو قول الذاكر: الله، الله، الله، أو: هُوْ، هُوْ، هُوْ، أو: حَيّ، حَيّ، حَيّ، ونحو ذلك، يقول أحد الصوفية المعاصرين: «ذكر اسم الله المفرد أقرب طريق للوصول إلى المعرفة الذوقية لله، والوصول إلى مقام الإحسان»[1]. ويقول: «وإني بفضل الله مع إني مأذون على طريقة الصوفية بتلقين الأوراد عامة، وبتلقين الاسم المفرد...»[2].

وعمدتهم في ذلك: طلب تفريغ الخاطر من الواردات، وجمع القلب حتى تستعد النفس لما ينزل عليها.

وقد خفي على هؤلاء أن الوارد الشرعي الديني ممنوع ومحظور على من لم يأت من الباب النبوي والطريق المحمدي، وأن السنة كسفينة نوح مَن ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها هلك، والاسم المفرد مُظهَرًا أو مُضمَرًا ليس بذكر ولا كلام، ولم يرد ما يدل على مشروعيته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاسم المفرد مُظهَرًا أو مُضمَرًا فليس بكلام تام، ولا جملة مفيدة، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر، ولا أمر ولا نهي، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة، ولا شرع ذلك رسول الله ﷺ، ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة، ولا حالاً نافعًا، وإنما يعطيه تصورًا مطلقًا لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات، فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه، وإلا لم يكن فيه فائدة، والشريعة إنما

---

(١) كتاب «تربيتنا الروحية» لسعيد حَوّى ص٢٩٧، وانظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٢٠٩).

(٢) كتاب «تربيتنا الروحية» (ص١٦)، وانظر: (ص١١٤، ١١٥).

تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه، لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره.

وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد، كما قد بُسط في غير هذا الموضع.... والذكر بالاسم المضمر المفرد أبعد عن السنة، وأدخل في البدعة، وأقرب إلى ضلال الشيطان؛ فإن من قال: يا هو، يا هو، أو: هو، هو. ونحو ذلك، لم يكن الضمير عائدًا إلا إلى ما يصوره قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل، وقد صنف صاحب «الفصوص» كتابًا سماه كتاب «الْهو»... والله تعالى لا يأمر أحدًا بذكر اسم مفرد، ولا شرع للمسلمين اسمًا مفردًا مجردًا، والاسم المجرد لا يفيد الإيمان باتفاق أهل الإسلام، ولا يؤمر به في شيء من العبادات، ولا في شيء من المخاطبات...

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «من قال في يومه مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ كتب الله له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به، إلا رجل قال مثل ما قال، أو زاد عليه»[(١)]. و: «من قال في يومه مائة مرة: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم؛ حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»[(٢)]... وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

---

(١) البخاري (٣٢٩٣)، مسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

(٢) البخاري (٦٤٠٥)، مسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤]. إنما هو قوله: (بسم الله)، وهذا جملة تامة... وأمثال ذلك كثير.

وكذلك ما شُرع للمسلمين في صلاتهم، وأذانهم، وحَجِّهم، وأعيادهم، من ذكر الله تعالى، إنما هو بالجملة التامة؛ كقول المؤذن: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله. وقول المصلي: الله أكبر، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى، سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، التحيات لله. وقول الملبي: لبيك اللهم لبيك. وأمثال ذلك. فجميع ما شرعه الله من الذكر إنما هو كلام تام، لا اسم مفرد، لا مظهر ولا مضمر...

والمقصود هنا: أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره (بجملة تامة) وهو المسمى بـ(الكلام)، والواحد منه بـ(الكلمة)، وهو الذي ينفع القلوب، ويحصل به الثواب والأجر والقرب إلى الله، ومعرفته ومحبته وخشيته، وغير ذلك من المطالب العالية، والمقاصد السامية.

وأما الاقتصار على (الاسم المفرد) مُظهَرًا أو مُضمَرًا؛ فلا أصل له، فضلًا عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد»[1].

□ الداعي لهذه البدعة عندهم:

سبب فعل الصوفية لهذه البدعة ليس هو تعظيم الله، ولا اتباع

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٢٦- ٢٣٣).

النصوص الشرعية، وإنما هو حيلة شيطانية، يقول ابن تيمية: «ولهذا صار من يأمر به من المتأخرين يبين أنه ليس مقصودنا ذكر الله تعالى، ولكن جمع القلب على شيء معين؛ حتى تستعد النفس لما يرد عليها... وأبلغ من ذلك من يقول: ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان. حتى يقول: لا فرق بين قولك: يا حي. وقولك: يا جحش! وهذا مما قاله لي شخص، وأنكرت ذلك عليه، ومقصودهم بذلك أن تجتمع النفس؛ حتى يتنزل عليها الشيطان»[1].

شبه يحتجون بها على بدعة الذكر المفرد:

١- احتجاج بعضهم على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]. وهذا من أبطل الباطل؛ فإن الاسم مذكور في الأمر بجواب الاستفهام، وهو قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي: الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى، فالاسم مبتدأ، وخبره قد دل عليه الاستفهام، كما في نظائر ذلك تقول: من جاره؟ فيقول: زيد.

٢- «وزعم بعضهم أن قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٤]. معناه: وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو (الهو). وقيل هذا، وإن كان مما اتفق المسلمون- بل العقلاء- على أنه من أبين الباطل، فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء. حتى قلت مرة لبعض من قال شيئًا من ذلك: لو كان هذا كما قُلْتَه لكُتِبَتْ: (وما يعلم تأويل هو) منفصلةً»[2].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٩٦، ٣٩٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٢٧، ٢٢٨).

٣- واحتج بعضهم بما في القرآن من قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل: ٨]. وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]. وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]. وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة: ٩٦]. ونحو ذلك، قالوا: فهذا أمر بذكر الاسم، وهو يصدق على من قال: الله، الله، الله![١].

وهذا باطل؛ فإن الآيات التي فيها الأمر بذكر اسم الله تعالى لا تقتضي ذكره مفردًا... فتسبيح اسم الرب الأعلى، وذكر اسم الرب، ونحو ذلك، هو بالكلام التام المفيد، كما في «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع. وهن من القرآن.: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[٢]. وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٣].

٤- اعتماد أدعية لم ترد، واتخاذها سنة:

وهذا كثير في أدعية الصوفية؛ كالقول الذي يُروى عن إبراهيم بن أدهم: اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة، فما دونها!! إذا أنت وهبت لي حبك، وآنستني بمذاكرتك، وفرغتني للتفكر في عظمتك، فأعط الجنة لمن شئت!![٤].

(١) هذه الحجج يذكرها الآن غالب من يدعي الاعتدال في التصوف، كصاحب كتاب «التصوف بين الإفراط والتفريط» (ص٢٢٠- ٢٢٣).
(٢) مسلم (٣٩٨٥) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.
(٣) البخاري (٥٩٢٧) ومواضع أخرى، مسلم (٤٨٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) «حلية الأولياء» (٨/ ٣٥، ٣٦).

ودعاء الصاحب: اللهم ارزقني علم الخائفين، وخوف العاملين، ويقين المتوكلين، وتوكل الموقنين، وشكر الصابرين، وصبر الشاكرين، وإخبات المنيبين، وإنابة المخبتين، وزهد الصادقين، وألحقني بالشهداء والأحياء المرزوقين، آمين يا رب العالمين!![(١)].

وأدعية أخرى كثيرة مخترعة، بعيدة كل البعد عن أدعية النبي ﷺ التي اشتملت على جوامع الدعاء، وكان ﷺ يستحب جوامع الدعاء، ويدع ما سواه.

ومن العجيب انتشارها والرغبة فيها أعظم من الرغبة عما صح عن النبي ﷺ، وأعجب من ذلك زعم بعضهم تلقي هذه الأذكار عن رسول الله ﷺ شفاهًا، كما قال أحدهم:

أوراده من رسول الله قد رويت كذا أفعاله والسر مأثور

فيجمعون بين الكذب والافتراء على رسول الله ﷺ، وبين الافتراء على الإسلام، والصد عن سبيل الله تعالى، والإحداث في الدين، والتبديل للشريعة.

ثم تطورت بدع الذكر عندهم، حتى وصل الأمر إلى أدعية فيها توسلات مخترعة، وكلمات مبهمة، تدل على الاستغاثة بغير الله، وتعظيم الجنّ وغيرهم بسؤالهم وندائهم!!

فمن أوراد الطريقة الشاذلية التي تلقاها ابن إدريس، وأخذها عن شيخه، وقد زعم ابن إدريس أنه تعلمها مشافهة من النبي حال اليقظة، لا حال المنام..!! وهذا من أبين الكذب، وهذا نص الدعاء المفترى، وهو عجيب وغريب: «بكهيعص كفيت، بحمعسق حميت، فسيكفيكهم الله

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ٧٠)، وانظر: دعاء ذي النون المصري العابد في «الحلية» (٩/ ٣٣٢).

وهو السميع العليم، اللهم أمِّنَّا من كل خوف، وهمٍّ، وغمٍّ، وكرب، كد كد كردد كرده ده ده ده ده!! الله رب العزة، كتب اسمه على كل شيء أعزه، خضع كل شيء لعظمة سلطانه، اللهم أخضع لي جميع مَن يراني من الجن والإنس، والطير والوحوش والهوام، طهور بدعق محببة صورة سقفاطيس سقاطيم آحون ق أدم حم هأ يا هو يا غوثاه يا من ليس للراجي سواه بما في اللوح من اسم خفي وبالذكر الحكيم وما تلاه وبالقبر الشريف وزائريه وبالقدس العلي وما حواه، تقبل ربنا منا دعانا»!!

ومن ذلك: الصلاة على النبي ﷺ المعروفة عند الطائفة التيجانية بصلاة الفاتح، وصيغتها: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لِما أُغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله، حق قدره، ومقداره العظيم».

وزعموا أيضًا أن هذه الصلاة نزلت من السماء؛ فقد قال الفوتي الطوري مؤلف كتاب «رماح حزب الرحيم»: «ويجب أن يعتقد الذاكر أنها من كلام الله»[1].

وقال مؤلف كتاب «الدرة الخريدة»: «ويعتقد المصلي أنها في صحيفة من نور، أنزلت بأقلام قدرة إلهية، وليست من تأليف زيد ولا عمرو، بل هي من كلامه سبحانه وتعالى »[2].

وقال صاحب «الجواهر»: «إنها لم تكن من تأليف البكري، ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ، فيها ثواب جميع

(١) «رماح حزب الرحيم» (٢/ ١٣٩)، وانظر: «طبقات الشعراني» (١/ ١٤٥).
(٢) «الدرة الخريدة» (٤/ ١٢٨).

الصلوات، وسر جميع الصلوات، وطال طلبه مدة، ثم أجاب الله دعوته، فأتاه الملك بهذه الصلاة المكتوبة في صحيفة النور، ثم قال الشيخ: فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها مكتوبة في صحيفة من النور. ثم قال الشيخ: فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة!! قال الشيخ: وقد أخبرني ﷺ عن ثواب الاسم الأعظم، فقلت: إنها أكثر منه. فقال ﷺ: بل هو أعظم منها، ولا تقوم له عبادة»[(١)].

وقال في بيان فضلها: «وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق، إلخ.. فقد سمعت شيخنا يقول: كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما أغلق، حين رجعت من الحج إلى تلمسان، لما رأيت من فضلها، وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة، كما هو في وردة الجيوب، وقد ذكر صاحب الوردة أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطبًا، قال: إن من ذكرها ولم يدخل الجنة، فليقبض صاحبها عند الله، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون، فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من «دلائل الخيرات»، تركْتُ الفاتح لِما أغلق، واشتغلت بها- وهي: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله، صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك، وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلامًا يعدل سلامهم-؛ لِما رأيت فيها من كثرة الفضل، ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق، فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها؟ فأخبرني أولاً: بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات!! ثم أخبرني ثانيًا: أن المرة الواحدة منها تعدل من

---

(١) «جواهر المعاني» (١/ ٩٦).

كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء، كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنه من الأذكار»[١].

فانظر كيف هذا الإعراض عن سنة النبي ﷺ الصحيحة، الثابتة عنه في صفة الصلاة والسلام عليه ﷺ، وقد علّم أصحابه هذه السنة، كما في البخاري ومسلم من حديث كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[٢].

وهذا من آثار بدعهم الشنيعة؛ فقد تدرجت البدع عندهم من إحداثات صغيرة، ثم زادت وعظمت حتى صارت لهم أحزاب وأوراد، ولكل شيخ حزب خاص وطريقة، ثم إلى كلام كفري شركي مخرج من الملة، نسأل الله العافية والسلامة.

فرحم الله الإمام أحمد حينما سأله أبو بكر الأثرم: بماذا أدعو بعد التشهد؟ فقال: بما جاء في الخبر. قلت له: أو ليس قال رسول الله ﷺ: «ثم ليتخير من الدعاء ما شاء». قال: يتخير مما جاء في الخبر. فعاودته، فقال: ما في الخبر[٣].

---

(١) «جواهر المعاني» (١/ ٩٤).

(٢) البخاري (٣١١٩)، مسلم (٦١٤).

(٣) «ذم الكلام» للهروي (٣/ ١١٠).

وهذا من الإمام أحمد بيان لعظم السنة والأدعية النبوية، والحذر من التوسع في غيرها؛ لمثل هذا وغيره صار إمام أهل السنة والجماعة.

وقد ورد عن الأئمة وعلماء هذه الأمة ما يؤكد ما ورد من النصوص في لزوم الأدعية النبوية، وكل هذا التشديد في أمر السنة ولزومها حذرًا من البدع التي إذا فتح بابها فلا نهاية له، والله المستعان.

قال القرطبي رحمه الله تعالى عند قوله سبحانه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]: «والاعتداء في الدعاء على وجوه، منها: الجهر الكثير والصياح... ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة؛ فيتخير ألفاظًا مُفَقَّرة، وكلمات مسجعة، قد وجدها في كراريس لا أصل لها، ولا معول عليها، فيجعلها شعاره، ويترك ما دعا به رسوله عليه السلام، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء»[١].

قال الشيخ أحمد القصير: «وقد أقر عدد من الصوفية المعاصرين بوجود شبه كبير بين الذكر عند الصوفية والذكر عند بعض أصحاب الوثنيات القديمة.

يقول مصطفى محمود، وهو من الصوفية المعاصرين: المتصوف، واليوجي، والراهب، كلهم على درب واحد، وأصحاب منطق واحد، وأسلوب واحد في الحياة، هو الزهد.

ثم يقول أيضاً: واليوجي، والراهب، والصوفي المسلم؛ يطلبون القرب والوصول بنفس الأسلوب، بالتسابيح، فيدعون الله بأسمائه، وهناك يوجا خاصة بالتسابيح اسمها: «المانترايوجا»، يضع اليوجي في عنقه مسابح طويلة، من ألف حبة.

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٢٤).

وقال عبد القادر عطا: والذي نراه أن هناك وجوهًا من الشبه قوية بين الطريقة النقشبندية، وبين اليوجا الهندية، وحبس النفس في الطريقة النقشبندية، والتنفس العميق في الويجا من وجوه الشبه البارزة بينهما، وتركيز المعاني في أجزاء من أجهزة الجسم الباطنة-؛ بغية سريانها في جميع أنحاء الجسد- عمل مشترك بين اليوجا والنقشبندية»[1].



(١) «وحدة الوجود عند الصوفية» (ص٣٣٤).

المطلب الخامس
الاحتفال بمولد الرسول ﷺ

نشأة هذه البدعة:

المشهور أن أول من أحدثه بالقاهرة هم (العبيديُّون)، كما ذكر ذلك المقريزي وغيره، وقيل: إن أول من أقام المولد هو الملك المظفر (طغرل) أبو سعيد كوكبري بن علي بن بكتكين بن محمد التركماني، صاحب إربل بالعراق، وقد توفي عام ٦٣٠هـ[1]. وقيل في نشأة هذه البدعة غير ذلك.

وقد وصف ابن العماد الحنبلي رحمه الله ما يصنعه سلطان إربل من التوسع في هذا الاحتفال والمبالغة فيه، قال: «وأما احتفاله بمولد النبي، فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به، لكن نذكر طرفًا منه: وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل- مثل: بغداد، والموصل، والجزيرة، وسنجار، ونصيبين، وبلاد العجم، وتلك النواحي- خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء، ولا يزالون يتواصلون من المحرَّم إلى أوائل شهر ربيع الأول، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب، كل قبة أربع، أو خمس طبقات، ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر، منها قبة له، والباقي للأمراء وأعيان دولته، لكل واحد قبة، فإذا كان أول صفر زينوا

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ١١٣- ١١٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٣٤)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ١٣٨-١٤٠).

تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستجملة، وقعد في كل قبة جوق[1] من المغاني، وجوق من أرباب الخيال، ومن أصحاب الملاهي، ولم يتركوا طبقة من تلك الطبقات في كل قبة حتى رتبوا فيها جوقًا، وتبطل معايش الناس في تلك المدة، وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم، وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان، فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف عليها قبة قبة إلى آخرها، ويسمع غناءهم، ويتفرج على خيالاتهم، وما يفعلونه في القباب، ويبيت في الخانقاه ويعمل السماع... فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئًا كثيرًا، زائدًا عن الوصف، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي... فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة، ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير، وفي جملتها شمعتان، أو أربع- أشك في ذلك- من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل، ومن ورائها رجل يسندها، وهي مربوطة على ظهر البغل، حتى ينتهي إلى الخانقاه، فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية، على يد كل شخص منهم بُقْجَة[2]، وهم متتابعون، كل واحد وراء الآخر، فينزل من ذلك شيء كثير، لا أتحقق عدده... فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان للعود إلى بلده،

(١) الجماعة من الناس، وكل خليط من الرعاء أمرهم واحد. «لسان العرب» (ج و ق).

(٢) بُقْجَة [مفرد]، [جمعها] بُقَجات، وبُقْجات، وبُقَج: صُرَّة من الثِّياب وغيرها. «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١/ ٢٣٠) (ب ق ج).

فيدفع لكل شخص شيئًا من النفقة، وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب بن دحية في حرف العين وصوله إلى إربل وعمَلَه كتاب «التنوير في مولد السراج المنير»، لما رأى اهتمام مظفر الدين به، وأنه أعطاه ألف دينار غير ما غرم عليه مدة إقامته من الإقامات الوافرة!!»(١).

ويقول المقريزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادًا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم... وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم، وهي: مواسم رأس السنة، ومواسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومولد الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ومولد فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسماط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات»(٢).

وقال في حوادث سنة ٣٩٤هـ: «وفي ربيع الأول ألزم الناس بوقود القناديل بالليل في سائر الشوارع والأزقة بمصر»(٣).

وقال في موضع آخر: «وجرى الرسم في عمل المولد الكريم النبوي

---

(١) «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ١٣٨-١٤٠)، وهذه المبالغة في وصف الاحتفال بالمولد من طريق سبط ابن الجوزي، وقد قدح الذهبي في صحتها، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٣٧).

(٢) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (١/ ٤٩٠) وما بعدها.

(٣) «اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» (٢/ ٤٨) أحداث سنة ٣٩٤هـ.

في ربيع الأول على العادة»[1]. ووصف هيئة هذه الاحتفالات التي تقام للمولد النبوي، خاصة وما يحدث فيها من الولائم ونحوها»[2].

وقال: «وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الأربعة: النبوي، والعلوي، والفاطمي، والإمام الحاضر، وما يهتم به، وقدم العهد به حتى نسي ذكرها، فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الآمر بأحكام الله، ويرددون الحديث معه فيها، ويحسنون له معارضة الوزير بسببها، وإعادتها وإقامة الجواري والرسوم فيها، فأجاب إلى ذلك وعمل ما ذكر..»[3].

وهذا يدل على أن العبيديين هم أول من أحدث هذه البدعة، ولم تعرف إلا من جهتهم.

فهذا شيء مما يتعلق بنشأة هذه البدعة، وهذا من أوضح الأدلة على أنها إحداث في الدين ما لم يأذن الله تعالى به.

□ وبطلان هذه البدعة يظهر من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن الاحتفال بالمولد لم يفعله النبي ﷺ، ولا أمر به، ولا فعله أصحابه، ولا أحد من التابعين ولا تابعيهم، ولا فعله أحد من أهل الإسلام خلال القرون المفضلة الأولى، وإنما ظهر بعد ذلك على

---

(١) «اتعاظ الحنفاء» (٣/ ٩٩) أحداث سنة ٥١٧هـ، وانظر: (٣/ ١٠٥).

(٢) «الخطط والآثار» (١/ ٤٣٢) وما بعدها.

(٣) «الخطط والآثار» (١/ ٤٣٢)، وانظر: «الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي» للشيخ الأمين عوض الله (ص٢٤)، وكتاب «ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها» للدكتور عبد المنعم ماجد (ص٣٠٨- ٣١٨).

أيدي العبيديين الباطنية، المشهورين بخبثهم وعداوتهم للإسلام والمسلمين.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن هؤلاء العبيديين: «وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسرًا، فصاروا كأمس الذاهب كأن لم يغنَوا فيها، وكان أول من ملك منهم: المهدي، وكان من سَلَمْيَةَ، حدّادًا، اسمه: عُبَيْد، وكان يهوديًّا، فدخل بلاد المغرب، وتَسمَّى بـ(عبيد الله)، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه إنه المهدي- كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة- بعد الأربعمائة...

والمقصود: أن هذا الدعي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد، ووازره جماعة من الجهلة، وصارت له دولة وصَوْلة، ثم تمكّن إلى أن بنى مدينة سماها المهدية؛ نسبة إليه، وصار مَلِكًا مطاعًا، يُظهر الرفض، وينطوي على الكفر المحض... وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء، وأكثرهم مالاً، وكانوا من أعتى الخلفاء، وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقلّ عندهم الصالحون من العلماء والعبّاد، وكثر بأرض الشام: النصرانية، والدرزية، والحشيشية، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس، ونابلس، وعجلون، والغور، وبلاد غزة، وعسقلان، وكرك الشوبك، وطبرية، وبانياس، وصُور، وعكا، وصَيْدَا، وبيروت، وصفد، وطرابلس، وإنطاكية، وجميع ما والى ذلك إلى بلاد إياس وسيس، واستحوذوا على بلاد آمد، والرها، ورأس العين، وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقًا وأممًا لا يحصيهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان ما لا يُحَدُّ ولا

يُوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها، وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يُحَدُّ ولا يوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق، ولكنَّ الله سلَّم، وحين زالت أيامهم، وانتقض إبرامهم، أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته، وجوده ورحمته»[١].

ولا شك أن من يقيم مثل هذه الاحتفالات فإن هؤلاء هم قدوته، ولا شك أيضًا أن من يقيم هذه الاحتفالات المبتدعة فإنه يعتقد أن ذلك من صور محبة رسول الله ﷺ؛ فيراه دينًا، وعملاً صالحًا، وعبادة يتقرب بها إلى الله- وإن لم يصرح بذلك- وعليه: فإن من أحدث عبادة في الدين لم يفعلها الرسول ﷺ ولا أصحابه؛ فإن عمله باطل، ومردود عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]. وقال تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١].

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٢]. وفي «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول في الخطبة: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[٣]. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٦٧).

(٢) البخاري (٢٤٩٩)، ومسلم (٣٢٤٢).

(٣) مسلم (١٤٣٥).

الوجه الثاني: أن الذي يمارس هذا الفعل واقع فيما حذَّر منه النبي ﷺ حين قال: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[١]. وجاء في حديث آخر: «وكل ضلالة في النار»[٢].

الوجه الثالث: أن فاعل هذه البدعة عمله مردود عليه، غير مقبول منه؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ». ولا يكفي حسن النية، بل لابد من متابعة النبي ﷺ، يدل لذلك فهم الصحابة رضي الله عنهم، وإدراكهم لخطر الابتداع، مهما حسنت نية المبتدع، وقد أنكر ابن مسعود على من أحدث بدعة الذكر الجماعي في المسجد- وتقدم سياق هذا الأثر- مع أنهم قالوا له: يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير. فقال: وكم من مريد للخير لم يبلغه.

الوجه الرابع: أن هذا (المولد) فيه مشابهة واضحة لدين النصارى الذين يحتفلون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام، وقد نهينا عن التشبه بهم، كما قال ﷺ: «ومن تشبه بقوم فهو منهم»[٣].

الوجه الخامس: أن إقامة المولد للنبي ﷺ نوع من أنواع الإطراء

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وانظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني (٢/ ٦٤٧- رقم ٩٣٧).

(٢) النسائي (٣/ ١٨٨) من حديث جابر رضي الله عنه، وأصله عند مسلم (١٤٣٥).

(٣) أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٢/ ٥٠). قال ابن تيمية: «إسناده جيد... واحتج الإمام أحمد وغيره بهذا الحديث»، «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٤٠، ٢٤١).

والغلو الذي حذر منه ﷺ بقوله: «لا تُطْروني كما أَطْرت النصارى عيسى ابن مريم»[١]. فقد نهى عن تجاوز الحد في إطرائه ومدحه، وذكر أن هذا مما وقع فيه النصارى وكان سبب انحرافهم، وقال ﷺ: «إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»[٢].

الوجه السادس: أن الواقع من أصحاب الموالد أنهم قاسوا على مولد النبي ﷺ موالد الأولياء؛ فجعلوا لكل وليّ مولدًا وعيدًا يحتفلون به، ويفعلون فيه ما لا يحصى من المنكرات الشركية والبدعية وسائر أنواع المعاصي، وهذا دليل على بطلان هذه البدعة؛ فإن ما ينتج عنه باطل لا يكون إلا باطلاً[٣].

ومما يحصل في بدعة الاحتفال بالمولد: إنشاء المدائح النبوية، والتي لا تخلو من الغلو، والشرك الصريح، والاستغاثة بغير الله، وهذا أمر معروف ومشهور، كما أنهم يدّعون حضور النبي ﷺ بروحه وجسده، ويقومون له، بالإضافة إلى ألوان أخرى من المنكرات التي لا يشك مسلم في حرمتها وبطلانها وبعدها عن الإسلام؛ مثل: الطرب، والغناء، واختلاط الرجال

---

(١) البخاري (٣١٨٩)، مسلم (٣٢٠١) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) النسائي(٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (١/ ٢١٥، ٣٤٧). قال ابن تيمية رحمه الله: (إسناده على شرط مسلم)، «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٩٣).

(٣) فالرفاعية تقيم مولدًا لمؤسسها أحمد الرفاعي في اليوم الخامس عشر من جمادى الآخرة، وأحمد البدوي يقام له ثلاثة احتفالات: الأول لمولده، والثاني لوفاته، والثالث في شهر رجب، ومولد لإبراهيم الدسوقي في اليوم الثاني عشر من جمادى الآخرة، وذلك المولد لمدة أسبوع، وأما مولد السيدة زينب ففي السابع من شهر رجب إلى الرابع والعشرين من الشهر نفسه، والمولد الحسيني عامّ لجميع الطرق الصوفية، وموعده في اليوم الثاني والعشرين من ربيع الآخر، وهلمّ جرًّا من البدع والمحدثات. انظر: «الفكر الصوفي المعاصر» (ص٢٤٩).

بالنساء، ويصل الأمر في بعض البلدان التي يكثر فيها الجهل أن يشرب فيها الخمر، وكذلك إظهار ألوان من الشعوذة والسحر[١].



(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦١٩)، و«مجموع الفتاوى» (١/ ٣١٢).
وانظر: «مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم» (٣/ ٤٨- ٩٥)، ورسالة للشيخ عبدالعزيز بن باز في «حكم الاحتفال بالمولد النبوي»، ورسالة للشيخ حمود بن عبد الله التويجري بعنوان «الرد القويّ علىٰ الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي»، وكتاب «القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل» للشيخ إسماعيل الأنصاري.

المطلب السادس

التشديد على النفس والامتناع عن المباحات

وهذا صار من أبرز سمات التصوف، وقد وقع في شيء من هذا بعض العبَّاد من المتقدمين، كخروج بعضهم واعتزاله عن المسلمين.

❑ نشأة هذه البدعة:

هذا الأمر ينتج عن انحراف نزعات النفس البشرية وميلها للغلو، وقد وجد شيء من هذا في عهد النبي ﷺ؛ كالثلاثة الذين تقالُّوا عبادة النبي ﷺ، وأرادوا الزيادة على المشروع، وأنكر عليهم ﷺ ذلك- كما سيأتي-ووُجد أقوام في عهد التابعين حصل منهم مثل ذلك؛ مثل ما فعل معضد بن يزيد العجلي، وهو من العبّاد، وكان خرج هو وعدة من أصحاب عبد الله بن مسعود إلى الجبّانة يتعبدون، فأتاهم عبد الله بن مسعود فنهاهم عن ذلك وأنكر عليهم(١).

وظهر جماعة منهم اعتزلوا الناس، وجماعة أخرى شددوا على أنفسهم في العبادة، وجماعة عرف منهم الخوف الشديد والبكاء المستمر، وغير ذلك كالتزام الجوع والعطش والسهر، ومكابدة المشاقّ، ولزوم الزوايا مدة طويلة، والامتناع عن الزواج.

وهكذا انتشرت في هذا العهد طبقة العبَّاد، ووجد عندهم من البعد عن السنة والتكلف والغلو ما أوقعهم فيما نهى عنه الإسلام، وسيأتي ذكر بعض الأمثلة لذلك.

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٦/ ١٦٠).

ثم توسع مَن بعدهم حتى بلغوا الغاية في مشابهة رهبان النصارى، بل زادوا عليهم[١]، حتى خرجوا به عن الحنيفية السمحة التي بعث بها رسول الله ﷺ.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما كان من أمر عثمان بن مظعون، الذي كان من ترك النساء، بعث إليه رسول الله ﷺ فقال: «يا عثمان، إني لم أومر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟». قال: لا يا رسول الله. قال: «إن من سنتي أن أصلي وأنام، وأصوم وأطعم، وأنكح وأطلق، فمن رغب عن سنتي فليس مني، يا عثمان، إن لأهلك عليك حقًّا، ولعينك عليك حقًّا»[٢]. قال سعد: فوالله لقد كان أجمع رجال من المسلمين على أن رسول الله ﷺ إنْ هو أقرّ عثمان على ما هو عليه، أن نختصي فنتبتَّل.

وفي رواية: أن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَتْ عليَّ خويلةُ بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية، وكانت عند عثمان بن مظعون، قالت: فرأى رسول الله ﷺ بذاذة هيئتها، فقال لي: «يا عائشة، ما أبذّ هيئة خويلة». قالت: فقلت: يا رسول الله، امرأة لا زوج لها؛ يصوم النهار، ويقوم الليل، فهي كمن لا زوج لها، فتركت نفسها وأضاعتها! قالت: فبعث رسول الله ﷺ إلى عثمان بن مظعون، فجاءه، فقال: «يا

---

(١) أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه «دراسات في التصوف» (ص٢٣- ٦٣) أمثلة كثيرة عن هؤلاء في التشدد والتنطع والتكلف.

(٢) رواه أبو داود (١٣٦٩)، وأحمد (٦/ ٢٦٨)، والدارمي (٢٠٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وهذا لفظ الدارمي، وأصل الحديث في «الصحيحين» مختصرًا من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

عثمان، أرغبةً عن سنتي». قال: فقال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتّك أطلب. قال: «فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقًّا، وإن لضيفك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا، فصم وأفطر، وصلِّ ونم»(١).

ومن ذلك قصة الثلاثة نفر من الصحابة الذين أرادوا الانقطاع للعبادة، وشددوا على أنفسهم، وقد أخرج القصة البخاري ومسلم وغيرهما.

وهذا لفظ البخاري: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢).

وهكذا قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص لما شدَّد على نفسه في العبادة؛

فروى الإمام أحمد: عن عبد الله بن عمرو، أنه تزوج امرأة من قريش، فكان لا يأتيها؛ كان يشغله الصوم والصلاة، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «صم من كل شهر ثلاثة أيام». قال: إني أطيق أكثر من

(١) أحمد (٦/ ٢٦٨).

(٢) البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤٨٧).

ذلك. فما زال به حتى قال له: «صم يومًا، وأفطر يومًا». وقال له: «اقرأ القرآن في كل شهر». قال: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: «اقرأه في كل خمس عشرة». قال: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: «اقرأه في كل سبع». حتى قال: «اقرأ في كل ثلاث». وقال النبي ﷺ: «إن لكل عمل شرة، ولكل شِرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك»[١].

وكان رسول الله ﷺ يأكل اللحم، ويحب الحلوى، ويُستعذب له الماء البارد[٢].

❑ تطور هذه البدعة عند الصوفية:

لقد تطور الأمر عند الصوفية في هذه البدعة حتى شددوا على أنفسهم بإيجاب الخروج عن أموالهم، وإدامة الصيام والقيام، وترك التزوج، وإدامة الجوع، حتى إن ابن عطاء الأَدَميَّ البغدادي فقَد عقله بسبب ذلك ثمانية عشر عامًا!![٣].

وذكروا حكايات كثيرة فيها الحث على الامتناع عن الطعام والشراب مدة طويلة، وبعضها مخالف للحسّ والعقل[٤].

ونفروا مما أباحه الله عز وجل؛ كقول بعضهم: «مثقال ذرة من لحم تقسي القلب أربعين صباحًا».

---

(١) «المسند» (٢/ ١٨٨)، وأصله في البخاري (٥٠٥٢)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ١٤٢- ١٥٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ١٥٣).

(٤) انظر: أمثلة على ذلك في كتاب «دراسات في التصوف» لإحسان إلهي ظهير (ص٢٦- ٦٣).

وامتنعوا من لبس المباح، وفعل المباح؛ يقول أحدهم: «من رفع بصره إلى شيء بغير نية الاعتبار كُتبت عليه خطيئة!!»[١].

يقول الذهبي: «الطريقة المثلى هي المحمدية، وهو الأخذ من الطيبات، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقد قال النبي ﷺ: «لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآتي النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني». فلم يشرع لنا الرهبانية، ولا التمزق، ولا الوصال، بل ولا صوم الدهر... فالخلوة والجوع (أبو جاد) الترهب، وليس ذلك من شريعتنا في شيء»[٢]. ومعنى (أبو جاد) الترهب، أي: المدخل إلى الترهب المنهي عنه.

ويقول ابن الجوزي: «وقد لُبِّس عليهم في ترك المال كله، وكانت مقاصدهم حسنة، وأفعالهم خطرة، والعجيب من الحارث المحاسبي والغزالي كيف حثوا على ذلك... وأما استشهاد الحارث بأن عبد الرحمن بن عوف يوقَف في عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال، فهذا خطأٌ، وجهلٌ بالعلم، وقصة حبس ابن عوف غير صحيحة...»[٣].

ويكفي في هذا المقام قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

---

(١) انظر: كتاب «دراسات في التصوف» (ص٦٣).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٨٩، ٩٠).
(٣) «تلبيس إبليس» (ص١٨٠).

المطلب السابع

بدع شعائر التصوف

(الخِرقة - البيعة - العهد - التلقين. حلق الشعر، أو قصه على يد الشيخ)

للصوفية شعائر ورسوم يتمسكون بها، وهي مرتبطة بالطرق الصوفية، والطريقة لها أركان، منها:

الشيخ أو المرشد، ولا بد أن يرتبط المريد بشيخ، يسير على نهجه، ويسلم له بالكلية، ولا يعترض، فمن اعترض؛ طُرد!

وعندهم: مَن لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان.

ومن شروط الشيخ أن يكون له إسناد وإجازة؛ حتى تتصل الطريق من شيخ عن شيخ إلى رسول الله ﷺ!!

ولابد من الخَلوة؛ حتى تصفو نفس المريد، ومن المعروف عند أهل العلم أن المعتني بهذه الخلوات والرياضات المبتدعة، يحصل له تنزل شيطاني، وخطاب شيطاني، وبعضهم تطير به الشياطين من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد[1].

أما نشأة هذه الطرق فسيأتي الحديث عنها في الفصل الرابع، والمقصود هنا الكلام على البدع المصاحبة لهذه الطرق المبتدعة، مثل بدعة ما يسمى بالتلقين، والعهد، وأخذ الخِرقة، ونحو ذلك.

❑ أول من ابتدع الخرقة:

هذه البدعة حدثت عند بعض المشايخ المتصوفة المتأخرين من أهل

---

(١) انظر: رسالة «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لابن تيمية.

خراسان والعراق، كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «وقد عُقِل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يُلبسون مريديهم خِرقة، ولا يقصون شعورهم، ولا التابعون، ولكن هذا فَعَله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين... وقد عَلِم كلٌّ من له علم بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل، ولا يُسقى ملحًا، ولا يختص أحد بطريقة تسمى الفتوة»(١).

ومع ذلك فهم يدعون أن أصلها من الرسول ﷺ!!

وهذا من الكذب والبهتان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «وأما لباس الخِرقة التي يُلبسها بعضُ المشايخ المريدين؛ فهذه ليس لها أصل يدل عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسنة، ولا كان المشايخ المتقدمون، وأكثر المتأخرين يُلبسونها المريدين... وأما جعل ذلك سنة وطريقًا إلى الله سبحانه وتعالى فليس الأمر كذلك»(٢).

وأما موقف السلف من شيوخهم وعلمائهم، فكما قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «لكن كانوا - أي: الصحابة- قد اجتمع بهم التابعون، وتعلموا منهم، وتأدبوا بهم، واستفادوا منهم، وتخرجوا على أيديهم، وصحبوا من صحبوه منهم، وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة... وقد انتفع بكل منهم من نفعه الله، وكلهم متفقون على دين واحد، وطريق واحدة،

---

(١) «منهاج السنة» (٨/ ٤٧)، وتعبير الشيخ بـ(مريديهم) مراده أصحابهم من التابعين، والتعبير بـ(الصاحب) عن المريد لا يعرف إلا عند الصوفية، فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عبر باصطلاحهم؛ لأن الخطاب معهم.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥١١).

وسبيل واحدة، يعبدون الله، ويطيعون الله ورسوله ﷺ، ومن بلغهم من الصادقين عن النبي ﷺ شيئًا قبلوه، ومن فهم من القرآن والسنة ما دل عليه القرآن والسنة استفادوه، ومن دعاهم إلى الخير الذي يحبه الله ورسوله أجابوه، ولم يكن أحد منهم يجعل شيخه ربًّا يستغيث به، كالإله الذي يسأله، ويرغب إليه، ويعبده ويتوكل عليه، ويستغيث به حيًّا وميتًا، ولا كالنبي الذي تجب طاعته في كل ما أمر؛ فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، فإن هذا ونحوه دين النصارى، الذين قال الله فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]. وكانوا متعاونين على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، متواصين بالحق، متواصين بالصبر»[١].

ومنزلة الشيخ والعالم والإمام عند السلف الصالح: «بمنزلة الإمام في الصلاة، وبمنزلة دليل الحاج؛ فالإمام يقتدي به المأمومون فيصلون بصلاته، لا يصلي عنهم، وهو يصلي بهم الصلاة التي أمر الله ورسوله بها، فإن عدل عن ذلك سهوًا أو عمدًا لم يتبعوه، ودليل الحاج يدل الوفد على طريق البيت ليسلكوه، ويحجوه بأنفسهم؛ فالدليل لا يحج عنهم، وإن أخطأ الدلالة لم يتبعوه، وإذا اختلف دليلان وإمامان نُظر أيهما كان الحق معه اتبع، فالفاصل بينهم الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٤٧، ٤٨).

وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ الآية [النساء: ٥٩]»[١].

«وأما انتساب الطائفة إلى شيخ معين: فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقُّون عنه الإيمان والقرآن، كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي ﷺ، وتلقاه عنهم التابعون، وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان، فكما أن المرء له من يُعلّمه القرآن ونحوه؛ فكذلك له من يعلّمه الدين الباطن والظاهر، ولا يتعين ذلك في شخص معين، ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين، كل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها، وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه؛ فهو شيخه من هذه الجهة، فسلف الأمة شيوخ الخلفاء، قرنًا بعد قرن، وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ويعادي على ذلك، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان، ومن عُرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم، ولا يخص أحدًا بمزيد موالاة، إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه، فيقدِّم من قدَّم اللهُ تعالى ورسولُه عليه، ويفضل من فضله الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال النبي ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر؛ إلا بالتقوى»[٢]»[٣].

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٤٩).

(٢) أحمد (٥/ ٤١١) من حديث أبي نضرة عن رجل سمع النبي ﷺ، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥١١).

وقال ابن الجوزي: «وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ، وجعلوا لها إسنادًا متصلاً كله كذب ومحال... انظروا إخواني- عصمنا الله وإياكم من تلبيس إبليس- إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة، وإجماع مشايخهم الذي لا يساوي إجماعهم بعرة»[1].

ومن بدعهم: أخذ العهد على المريد والتلميذ، والمبايعة على الطريقة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ونحو ذلك العهود التي تؤخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين، كعهود أهل (الفتوة)، و(رماة البندق)، ونحو ذلك، ليس على الرجل أن يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله، إلا ما كان دينًا وطاعة لله ورسوله في شرع الله، لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك؛ ولهذا أمرتُ غير واحد أن يعدل عما أُخذ عليه من العهد؛ بالتزام طريقة مرجوحة، أو مشتملة على أنواع من البدع، إلى ما هو خير منها من طاعة الله ورسوله ﷺ، واتباع الكتاب والسنة؛ إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد، أو يقول عن عمل: إنه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله، واجب أو مستحب؛ إلا أن يكون مما أمر الله به ورسوله ﷺ، وذلك يعلم بالأدلة المنصوبة على ذلك. وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب، ولا مستحب، ولا قربة؛ لم يجز أن يعتقد أو يقال إنه قربة وطاعة. فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله، ولا التعبد به، ولا اتخاذه دينًا، ولا عمله من الحسنات، فلا يجوز جعله من الدين، لا باعتقاد وقول، ولا بإرادة وعمل.

وبإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد، يرون الشيء

---

(١) «تلبيس إبليس» (ص٢٣٦).

إذا لم يكن محرمًا لا ينهى عنه؛ بل يقال إنه جائز، ولا يفرقون بين اتخاذه دينًا وطاعة وبرًا، وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة، ومعلوم أن اتخاذه دينًا بالاعتقاد، أو الاقتصاد، أو بهما، أو بالقول، أو بالعمل، أو بهما؛ من أعظم المحرمات، وأكبر السيئات، وهذا من البدع المنكرات التي هي أعظم من المعاصي التي يعلم أنها معاصٍ وسيئات»[١].

ومن شروط التوبة عندهم: التوبة على يد الشيخ، والمشيخة تعتبر ضرورة كونية[٢]!!

والعهد من الأمور التي يشددون فيها على المريد، ويوجبون عليه أن يلتزم بالآداب مع الشيخ، ومن هذه الآداب: أن يكون مع شيخه كالنعال!! ويستسلم له تمامًا، ويكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل!! ونقل بعضهم عن أحد كبار الصوفية أنه قال: «لو أمرني الشيخ أن أسجد للّات لسجدت!»[٣].

بل طَلَبُ الدليل من الشيخ على قول الشيخ؛ من الكبائر!!

ويصرون على دوام تخيل الشيخ بين عيني المريد في كل الأوقات، يقول محمد السمنودي: «. . . الرابع- أي من آداب الذكر- أن يستمد المريد عند شروعه فيه بهمّة شيخه، وأنْ يُخَيّل شخصَ شيخِه بين عينيه»[٤].

يقول إسماعيل القادري أحد صوفية القادرية المعاصرين: «الرابطة هي

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٤٥).

(٢) «التصوف والمجتمع» لعبد اللطيف الشاذلي (ص١٣٥- ١٤٦).

(٣) «تربيتنا الروحية» لسعيد حوى (ص٢٠٢).

(٤) «تحفة السالكين» للسمنودي (ص٢٠).

أفضل من الذكر، وهي حفظ تصوّر صورةِ الشيخ في الفكر، وذلك للمريد أفيد وأنسب من الذكر؛ لأن الشيخ واسطة في الوصول إلى الحق جل وعلا!»[1].

ويقول أحد هؤلاء: إذا وقَعْت في شدة فنادني باسمي!!.

ويقول أحدهم لمريديه: إذا سولت لك نفسك بالمعصية، فتذكر شيخك، يصرف الله عنك هذا السوء!

فهذا منكر عظيم وشرك بالله جل وعلا، فيدعون إلى التعلق بشيوخهم وعبادتهم من دون الله؛ لتفريج كرباتهم، وقضاء حوائجهم!

فهذا هو ما يسمى عندهم بالرابطة؛ فالرابطة هي الشرك بالله عز وجل، والتعلق بغيره، ومن تعلق شيئًا وُكِل إليه، وهذا الذي يسمونه: الاستمداد من فيوضات الشيخ وفتوحاته، وأن الشيخ الوسيط... إلخ[2].



(١) «الربانية في المآثر والأوراد القادرية» (ص٢٦).

(٢) انظر: «التصوف بين الإفراط والتفريط» لعمر كامل (ص٢٢٤)، وقد تقدمت الإشارة إلى هذه البدعة الشركية عندهم.

الفصل الثالث

في أول بدع التصوف،
من بعض عباد الكوفة، وبعض عباد البصرة

الفصل الثالث

أول بدع التصوف من بعض عبّاد الكوفة وبعض عبّاد البصرة

لا شك أن لكل البدع والمحدثات بدايات قد تكون في أول الأمر يسيرة، ثم تتوسع وتنتشر.

والأمر بالنسبة لبدع التصوف كذلك؛ فإن المتأمل في بدع التصوف يجدها ترجع إلى اجتهادات خاطئة من بعض العباد والزهاد ونحوهم، وتقدمت الإشارة إلى هذا.

وكل بلد من هذه البلدان يظهر فيه عدد من العلماء والزهاد والعبَّاد، وربما تكون لهم خصائص تميزهم عن غيرهم، غير أن مدن العراق هي التي تميزت عن غيرها بكثرة المخالفة للسنة- عند بعض أهلها- في أمور العبادة، وتقدم قول ابن تيمية أنه بعد القرون الثلاثة حدثت ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف، وظهر أحمد بن علي الهجيمي البصري الزاهد الذي صحب عبد الواحد بن زيد، وعبد الواحد بن زيد صحب الحسن البصري ومن اتبعه من المتصوفة، وبنَى دويرة للصوفية، هي أول ما بني في الإسلام.

وكان عبد الرحمن بن مهدي وغيره يسمونهم: (الفقرية)، وكانوا يجتمعون في دويرة لهم، وصار لهؤلاء من التعبد المحدث طريق يتمسكون به، مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع. . . وصار لهؤلاء حال من السماع والصوت، حتى إن أحدهم يموت أو يغشى عليه.

وكان أهل المدينة أقرب في القول والعمل؛ إذ لم ينحرفوا انحراف

الطائفتين من الكوفيين والبصريين؛ هوىً وروايةً ورأيًا وكلامًا وسماعًا، وإن كان في بعضهم نوع انحراف، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين وأهل أعمال قلبية، أقرب إلى الحال المشروع من صوفية البصريين إذ ذاك؛ ولذا تجد كتب الكلام والتصوف إنما خرجت في الأصل من البصرة؛ ككتب الحارث بن أسد المحاسبي، وأبي الحسن بن سالم، وأبي سعيد الأعرابي، وأبي طالب المكي، وقد شرك هؤلاء من البغداديين والخراسانيين والشاميين خلق، لكن الغرض أن الأصول مِنْ ثَمّ(١).

إن الملاحظ في تراجم التابعين وأتباعهم أن بلدان المسلمين في ذلك الوقت متفاوتة؛ فأقربهم للسنة المدينة، ثم الشام، واليمن، ويليهم أهل العراق، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، ولهذا كان يقال: فقه كوفي، وعبادة بصرية(٢).

فعبّاد المدينة يقل فيهم السلوك المبتدع في العبادة، بخلاف عبّاد العراق، فقد كثر في بعضهم النسك المنحرف (النسك الأعجمي) المتأثر بالمجوس، أو الفرس، أو النصارى؛ والسبب في ذلك هو القرب من السنة والإيمان.

«ثم المتقدمون الذين وضعوا طرق الرأي و الكلام و التصوف وغير ذلك، كانوا يخلطون ذلك بأصول من الكتاب والسنة والآثار؛ إذ العهد قريب، وأنوار الآثار النبوية بعد فيها ظهور، ولها برهان عظيم، وإن كان عند بعض الناس قد اختلط نورها بظلمة غيرها.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٦٠) باختصار وتصرف يسير.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦).

فأما المتأخرون فكثير منهم جرَّد ما وضعه المتقدمون، مثل من صنف في الكلام من المتأخرين، فلم يذكر إلا الأصول المبتدعة، وأعرض عن الكتاب والسنة وجعلهما إما فرعين، أو آمن بهما مجملاً، أو خرج به الأمر إلى نوع من الزندقة، ومتقدمو المتكلمين خير من متأخريهم. وكذلك من صنف في الرأي فلم يذكر إلا رأي متبوعه وأصحابه، وأعرض عن الكتاب والسنة، ووزَن ما جاء به الكتاب والسنة على رأي متبوعه... وكذلك من صنف في التصوف والزهد جعل الأصل ما روي عن متأخري الزهاد، وأعرض عن طريق الصحابة والتابعين، كما فعل صاحب «الرسالة» أبو القاسم القشيري، وأبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي، وابن خميس الموصلي في «مناقب الأبرار»، وأبو عبد الرحمن السلمي في «تاريخ الصوفية»، لكن أبو عبد الرحمن صنف أيضًا «سير السلف» من الأولياء والصالحين، وسير الصالحين من السلف، كما صنف في سير الصالحين من الخلف ونحوهم من ذكرهم لأخبار أهل الزهد والأحوال من بعد القرون الثلاثة من عند إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، ومن بعدهم، وإعراضهم عن حال الصحابة والتابعين، الذين نطق الكتاب والسنة بمدحهم، والثناء عليهم، والرضوان عنهم. وكان أحسن من هذا أن يفعلوا كما فعله أبو نعيم الأصبهاني في «الحلية» من ذكره للمتقدمين والمتأخرين، وكذلك أبو الفرج بن الجوزي في «صفوة الصفوة»، وكذلك أبو القاسم التيمي في «سير السلف»، وكذلك ابن أسد بن موسى، إن لم يصعدوا إلى طريقة عبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، وهناد بن السري وغيرهم في كتبهم في الزهد»[1].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٦٨).

وسأذكر في هذا أمثلة فيها بعض أنواع الغلط التي وقع فيها بعض المتقدمين من عباد العراق وغيرهم؛ وذلك ليظهر الفرق بين طريقة الصحابة ومن تبعهم من أئمة التابعين وأتباعهم بإحسان، وبين المخالفين لهم ممن وقع في شيء من الزيادة والتشدد، فكان فتنة لمن جاء بعده واقتدى به، وزاد الغلو عند الأتباع وأتباع الأتباع، حتى صار الغلو المذموم ممدوحًا عند خلوف المتصوفة، والله المستعان.

فهذه الأمثلة المقصود منها بيان بداية الانحراف والمخالفة للسنة، والتي قد تكون عن خطأ واجتهاد مغفور لصاحبه؛ لخفاء السنة عليه، أو لورود حال عجز عن دفعها؛ لقصوره.

ولا يعني هذا النقصَ والغض من مكانتهم وإمامتهم وفضلهم؛ يدل لذلك ما وقع لبعض أصحاب النبي ﷺ من الخطأ في هذا المقام، كما تقدم ذكره من قصة الثلاثة النفر الذين تقالّوا عبادة النبي ﷺ، وقصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، والمرأة التي وضعت حبلًا لتتعلق به إذا فترت عن العبادة، والرجل الذي نذر أن يقف في الشمس ويصوم ولا يتكلم، وغيرهم.

وهذه الأحوال التي تصدر من اجتهاد من العبد هي من مواقع الغلط، ويطلب فيها سلوك الصراط المستقيم من غير تفريط ولا إفراط؛ ولهذا أنكر النبي ﷺ تلك الأحوال والاجتهادات المخالفة لسنته في أمر العبادة، ودعا هؤلاء إلى لزوم سنته التي هي الاقتصاد والتوسط والصراط المستقيم.

وبعد وفاة النبي ﷺ انقطع الوحي، وصار الميزان الذي يعرف به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والصواب من الخطأ؛ هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما أجمع عليه أصحاب النبي ﷺ، فالواجب إرجاع جميع أحوال الناس ومقالاتهم وعباداتهم وأخلاقهم إلى ذلك الميزان القسط.

والناس في هذا المقام العظيم طرفان ووسط:

فطرف ينظر إلى فضل هذا العالم والعابد وتقدمه وشهرته وما ثبت في نفسه من إمامته وعلو منزلته، فيجعل ذلك العابد أو العالم أو الزاهد هو المعيار والميزان، ولا يبالي إذا وقع في شيء من المخالفة، ولا يعد ذلك خطأً؛ لأنه فعله هذا الرجل المعظم في نفسه.

وطرف آخر يتطاول على الأئمة ويتنقصهم ويحط من شأنهم ويجعل هذه الأحوال وسيلة للغض والازدراء، وهذا أيضًا خطأ كبير.

والواجب معرفة فضل أئمة الإسلام ومحبتهم، والثناء عليهم، ومع ذلك فالغلط جائز عليهم؛ سواء الغلط في المسائل العلمية أو العملية، ومن النصح لهم بيان ما أخطئوا فيه إذا لزم الأمر، وترك متابعتهم فيما أخطئوا فيه.

«فهذه الأحوال التي يقترن بها الغشي، أو الموت، أو الجنون، أو السكر، أو الفناء حتى لا يشعر بنفسه ونحو ذلك، إذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقًا عاجزًا عن دفعها، كان محمودًا على ما فعله من الخير وما ناله من الإيمان، معذورًا فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره، وهم أكمل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص إيمانهم، وقسوة قلوبهم، ونحو ذلك من الأسباب التي تتضمن ترك ما يحبه الله، أو فعل ما يكرهه الله، ولكن من لم يزل عقله مع أنه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه، فهو أفضل منهم، وهذه حال الصحابة ﭬ، وهو حال نبينا ﷺ؛ فإنه أسري به إلى السماء، وأراه الله ما أراه وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله...

والمقصود أن هذه الأمور التي فيها زيادة في العبادة والأحوال خرجت من البصرة؛ وذلك لشدة الخوف، فإن الذي يذكرونه من خوف عتبة

الغلام، وعطاء السليمي، وأمثالهما، أمر عظيم، ولا ريب أن حالهم أكمل وأفضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم، أو تفضل عليهم، ومن خاف الله خوفًا مقتصدًا يدعوه إلى فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه الله من غير هذه الزيادة؛ فحاله أكمل وأفضل من حال هؤلاء، وهو حال الصحابة ﷺ . . .

وكذلك ما يذكر عن أمثال هؤلاء من الأحوال من الزهد، والورع، والعبادة، وأمثال ذلك قد ينقل فيها من الزيادة على حال الصحابة ﷺ وعلى ما سنه الرسول أمور توجب أن يصير الناس طرفين:

قوم يذمون هؤلاء وينتقصونهم، وربما أسرفوا في ذلك.

وقوم يغلون فيهم ويجعلون هذا الطريق من أكمل الطرق وأعلاها. . .

وهذا باب يفترق فيه الناس، والصواب للمسلم أن يعلم أن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وخير القرون القرن الذي بعث فيهم، وأن أفضل الطرق والسبل إلى الله ما كان عليه هو وأصحابه، ويعلم من ذلك أن على المؤمنين أن يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسعهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وقال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»(١). وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وإن كثيرًا من المؤمنين المتقين أولياء الله قد لا يحصل لهم من كمال العلم والإيمان ما حصل للصحابة، فيتقي الله ما استطاع، ويطيعه بحسب اجتهاده، فلابد أن يصدر منه خطأ؛ إما في علومه وأقواله، وإما في أعماله

---

(١) البخاري (٦٧٤٤)، مسلم (٢٣٨٠) عن أبي هريرة ﷺ.

وأحواله، ويثابون على طاعتهم، ويغفر لهم خطاياهم، فإن الله تعالى قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦]. قال الله تعالى: قد فعلت[(١)].

فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء، أو طريق أحد من العباد والنساك، أفضل من طريق الصحابة؛ فهو مخطئ ضال مبتدع، ومن جعل كل مجتهد في طاعة أخطأ في بعض الأمور مذمومًا معيبًا ممقوتًا؛ فهو مخطئ ضال مبتدع...»[(٢)].

وهذا شروع في بعض الأحوال العملية التي يظهر مخالفتها للسنة، وهي بداية الانحراف في مفهوم العبادة، تعلل به من أتى بعد هؤلاء ممن أضاف إلى تلك الأمور ما جعلها بدعًا صريحة، فصارت تلك الأحوال سببًا لفتنة من جاء بعدهم.

فمن أولئك:

١- أصحاب حلقة الذكر الذين أنكر عليهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تقدم ذكر قصتهم[(٣)].

٢- جماعة من المتعبدين خرجوا إلى ظاهر الكوفة، وبنوا مسجدًا يتعبدون فيه، منهم عمرو بن عتبة، ومفضل العجلي، فخرج إليهم ابن مسعود

---

(١) مسلم (١٨٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٢- ١٦).

(٣) انظر: (ص).

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وردهم إلى الكوفة، وهدَم مسجدهم، وقال: إما أن تكونوا أهدى من أصحاب محمد ﷺ، أو تكونوا متمسكين بذَنَبِ الضلالة[١].

٣- عامر بن عبد الله بن عبد قيس، من عبَّاد البصرة، كان قد ترك النساء والمال بالكلية، وفرض على نفسه كل يوم ألف ركعة، وتغرَّب عن بلده، وقد أنكر عليه أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، فقال له: أما بعد، فإني عهدتك على أمر، وبلغني أنك تغيرت، فاتق الله وعُذْ[٢].

٤- مسروق بن الأجدع الهمداني الإمام العلم، من عبّاد الكوفة، حج مرة، فما بات إلا ساجدًا[٣].

٥- عطاء السليمي العابد، أضر بنفسه حتى ضعف جدًّان وعمشت عيناه؛ وذلك لشدة خوفه وكثرة بكائه؛ كان يبكي الليل والنهار![٤].

٦- عتبة الغلام، وهو عتبة بن أبان بن صمعة، كان كثير الخوف من الله، شديد البكاء، لا يكاد ينقطع بكاؤه، وكان يصوم الدهر، ويأوي إلى السواحل والجبّانة (المقابر)[٥].

٧- جوّاب بن عبيد الله التيمي الكوفي، كان يرتعد عند الذكر، فقال له

---

(١) ذكرها ابن رجب الحنبلي في «فتح الباري» (١/ ١١٠، ١١١)، وقال: إسناد هذا صحيح عن الشعبي أنه حكى ذلك.

(٢) «الحلية» (٢/ ٨٧)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٠١)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٥).

(٣) «الحلية» (٢/ ٧٥)، «تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٣٢)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٣).

(٤) «الحلية» (٦/ ٢١٥)، «صفة الصفوة» (٣/ ٣٢٥)، «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٨٦).

(٥) «الحلية» (٦/ ٢٢٦)، «صفة الصفوة» (٣/ ٣٧٠)، «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٦٢).

إبراهيم التيمي: إن كنت تملكه فما أبالي ألا أعتد به، وإن كنت لا تملكه فقد خالفت مَن هو خير منك[١].

٨- الأسود بن يزيد النخعي الإمام العلم، من عُبَّاد الكوفة، قال علقمة بن مرثد: كان مجتهدًا في العبادة حتى يخضرّ جسمه ويصفرّ، وكان يصوم الدهر، وذكر عنه أنه ربما أحرم بالحج من جَبَّانة عَرْزم (محلة بالكوفة)[٢].

٩- عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام، كان من العُبَّاد، وقال له أبوه لما يرى منه: قد رأيت أبا بكر وعمر لم يكونا هكذا. ومرة سرقت له نعل، فما انتعل حتى مات[٣].

١٠- أبو مسلم الخولاني، عبد الله بن ثوب اليماني ثم المدني، الإمام الزاهد العابد، علق سوطًا في مسجده وقال: أنا أولى بالسوط من الدواب. فإذا دخلَتْه فترةٌ مشق ساقه سوطًا أو سوطين[٤].

١١- صفوان بن سليم الزهري، أبو عبد الله، مولى حميد بن عبدالرحمن بن عوف، فقد حلف ألا يضع جنبه على الأرض حتى يموت[٥].

١٢- عبد الكريم بن أبي المخارق أبو أمية، زار عبد الكريم أبا العالية، فرأى أبو العالية عليه ثياب صوف، فقال له: هذا زي الرهبان، إن

---

(١) «الحلية» (٤/ ٢٣١)، «تهذيب الكمال» (١/ ٤٨٧).

(٢) «الحلية» (٢/ ١٠٣)، «صفة الصفوة» (٣/ ٢٣)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٠).

(٣) «الحلية» (٣/ ١٦٦)، «صفة الصفوة» (٢/ ١٣٠)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢١٩).

(٤) «الحلية» (٢/ ١٢٢)، «صفة الصفوة» (٤/ ٢٠٨)، «البداية والنهاية» (٨/ ١٤٦)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٧).

(٥) «الحلية» (٣/ ١٥٨)، «صفة الصفوة» (٢/ ١٥٣)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٦٤).

المسلمين إذا تزاوروا تجملوا[١].

١٣- غزوان بن غزوان الرقاشي، حلف ألَّا يضحك، فما رؤي ضاحكًا حتى مات، رَحِمَهُ اللهُ تعالى[٢].

١٤- خليد بن عبد الله العصري، كان يصوم الدهر[٣].

١٥- صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوي البصري، الزاهد العابد، كان يخرج إلى الجبَّانة فيتعبد فيها[٤].

١٦- العلاء بن زياد البصري، القدوة العابد، انقطع عن الناس، وكان يصوم حتى يخضر، ويصلي حتى يسقط، وظل يبكي حتى عمي، ونصحه أنس والحسن فأجابهم بما يخالف السنة[٥].

١٧- ثابت بن أسلم البناني أبو محمد، من عُبَّاد البصرة وعلمائها، وكان من أئمة العلم والعمل، مما يؤخذ عليه في ترجمته أنه كان يصوم الدهر[٦].

١٨- مالك بن دينار، من الزُّهاد المشهورين، ومما يؤخذ عليه ما نقل عنه أنه كان ينظر في التوراة والزبور وكتب السابقين من النصارى، وقوله: لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى منازل الكلاب، وقوله: ينبغي للقارئ أن يكون عليه

---

(١) «الحلية» (٢/ ٢١٧)، «تهذيب الكمال» (٤/ ٥٤٢)، «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٨٣).

(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٥١).

(٣) «الحلية» (٢/ ٢٣٢).

(٤) «الحلية» (٢/ ٢٣٧)، «صفة الصفوة» (٣/ ٢١٦)، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٩٧).

(٥) «الحلية» (٢/ ٢٤٢)، «صفة الصفوة» (٣/ ٢٥٣)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٠٢).

(٦) «الحلية» (٢/ ٣٢١)، «صفة الصفوة» (٣/ ٢٦٠)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٢٠).

دارعة صوف وعصا راع... وكذا طلبه من الراهب أن يفيده، وعزوفه عن الزواج، وترك المباحات، ولبسه الصوف الخشن، وهكذا ما نقل عنه من مشي الكلب معه!![١].

١٩- سليمان بن طرخان التيمي البصري، الإمام العلم القدوة، مما يؤخذ عليه رحمه الله تعالى أنه كان يصلي الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة، ولم يضع جنبه على الأرض عشرين سنة[٢].

٢٠- فرقد بن يعقوب السبخي البصري العابد، كان ينظر في التوراة، وكان يقول: الشبع أخو الكفر. ولبسه جبة الصوف، ونقل عنه النظر في التوراة[٣].

٢١- يزيد بن أبان الرقاشي البصري، العابد المشهور، مما يؤخذ عليه رحمه الله تعالى ما نقل في ترجمته من إعطاشه وتجويعه لنفسه، حتى ذبل جسمه، وتغير لونه، ونهك بدنه، وإدامته للصيام اثنتين وأربعين سنة[٤].

٢٢- هارون بن رئاب الأسيِّدي البصري العابد، كان يلبس الصوف[٥].

٢٣- عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري، الإمام الحافظ، كان يقوم الليل كله[٦].

---

(١) «الحلية» (٢/ ٣٥٨، ٣٨٤)، «صفة الصفوة» (٣/ ٢٩٦)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٦٢).

(٢) «الحلية» (٣/ ٢٧)، «صفة الصفوة» (٣/ ٢٧١)، «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٩٥).

(٣) «الحلية» (٣/ ٤٧) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٧١).

(٤) «الحلية» (٣/ ٥٠) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٨٩).

(٥) «الحلية» (٣/ ٥٥)، «صفة الصفوة» (٣/ ٢٨٩)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٦٣).

(٦) «الحلية» (٣/ ١٢٠)، «صفة الصفوة» (٣/ ٣٠١)، «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٣).

٢٤- الحجاج بن فرافصة الباهلي البصري العابد، مكث بضعة عشر يومًا لم يأكل ولم يشرب ولم ينم[١].

٢٥- ورأى عبد الله بن غالب الحداني رجلًا في فلاة يأتيه رزقه، لا يدري من أين يأتيه، فقال له: إن هذه الأمة لم تؤمر بهذا، إنما أمرت بالجمعة والجماعة وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، فقبل منه، وانتهى من ساعته إلى قرية فيها هذا كله[٢].

وبعد، فهذه نماذج من اجتهاد هؤلاء العُبَّاد- رحمهم الله تعالى جميعًا، وغفر لهم، وجمعنا وإياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر- بلغ بهم اجتهادهم إلى مخالفة السنة، والوقوع في التشدد والتكلف، وقد أثَّرت على مَن بعدهم، وتعلقوا بها، وجعلوا أولئك قدوتَهم في هذا الغلو، مع مخالفتهم صريحَ السنة، والله المستعان.



(١) «الحلية» (٣/ ١٠٨)، «صفة الصفوة» (٣/ ٣٢٥)، «تهذيب الكمال» (٢/ ٦٣)، «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٧٨).

(٢) «فتح الباري» لابن رجب الحنبلي (١/ ١١٠، ١١١).

الفصل الرابع

في بذور التصوف الطرقي من القرن الثالث

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: بداية نشأة الطرق الصوفية.

المبحث الثاني: أسماء بعض الطرق الصوفية.

المبحث الثالث: أهم الطرق الصوفية المعاصرة.

المبحث الأول

بداية نشأة الطرق الصوفية

الطرق: جمع طريق، وهو: السبيل الذي يطرق بالأرجل، ويقال: الطريق والطريقة على سبيل الترادف.

والمراد بالطريقة عند الصوفية: هي مجموعة من الآداب والأخلاق والأعمال والعقائد، يسير عليها أفراد من المتصوفة، ويتمسكون بها تبعًا لشيخ يتولى توجيههم وتأديبهم والقيام عليهم، فهذه هي الطريقة في اصطلاحهم[(١)].

إن طرق الصوفية نشأت في بادئ الأمر على غير منهاج واضح، أو هيكل تنظيمي، وإنما نشأت بسبب تنوع المشايخ، فقد اتجه بعض الشيوخ اتجاهًا جديدًا؛ حيث بدءوا يجمعون حولهم المريدين من أجل تدريبهم، فتكونت لأول مرة الطرق الصوفية[(٢)].

ففي الحقيقة ليست طرقًا بمعنى ما تؤدي إليه هذه الكلمة، لكن لما كانوا بعيدين عن العلم، واختطوا لأنفسهم منهجًا في العبادة والسلوك، وظهر فيهم التميز عن جمهور المسلمين، وظهرت لهم كلمات

---

(١) «الفكر الصوفي المعاصر» (ص٢١٢- ٢١٤).

(٢) «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة» لعبد الرحمن عبد الخالق (ص٥٣٩)، و«دراسات في التصوف» لإحسان إلهي ظهير (ص١٥٩، ٢١٥)، و«الكشف عن حقيقة الصوفية» لمحمود القاسم (ص٣٠٩- ٣١٥) وما بعدها (ص٦٠١).

ومصطلحات مهدت لظهور الطرق المنظمة لمن جاء بعدهم، مثل قولهم: عِلْمُنا، مذهبنا، طريقتنا[١].

وظهر فيهم قلة العلم بالسنة، وكثرة الوعظ والقصص، والتأثر بسلوكيات الرهبان والنسك الأعجمي، فزاد بُعْدُهم عن سمت الصحابة وهديهم.

ومن صور التميز التي حصلت لهم: اتخاذ بيوت خاصة للعبادة غير المساجد، ينقطعون فيها عن الناس.

وكذلك السماع المحدَث الذي كان يسميه الشافعي: التغبير، ونسب إحداث ذلك للزنادقة، وربما أضافوا إليه الضرب بالدف ونحوه.

وكذلك دعوى الذوق والوجد، وهذا كان سببًا في إدخال الفلسفات الإشراقية الإلحادية في أتباعهم ومن جاء بعدهم.

وهكذا تميز هؤلاء بعدة أمور، وصارت لهم مشيخة؛ لهم رسوم، وعادات، وسمت خاص.

وهذا أول بذور التصوف الطرقي.

ومن أوائل ما أحدثه الصوفية في المرحلة الثانية: أن جعل لكل شيخ أتباع ومريدون ينتسبون إليه، فصارت لهم ألقاب إضافية، فقيل عن أتباع الجنيد: الجنيدية، وأتباع المحاسبي: المحاسبية، وهكذا.

ثم نظّمت بعد ذلك؛ يقول الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق: «إن أول من وضع هيكلًا تنظيميًا للطرق الصوفية هو فضل الله أبو سعيد محمد أحمد الميهني، الصوفي الإيراني الفارسي (٣٥٧ هـ-٤٣٠ هـ أو ٤٤٠ هـ)[٢]، وهذا

---

(١) انظر: ما تقدم (ص٢٤، ٢٥).

(٢) «الفكر الصوفي» (ص٥٣٩).

المشار إليه هو تلميذ أبي عبد الرحمن السلمي، وتلقى الخِرقة من يده.

وبالنظر إلى ترجمة شيخه أبي عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين الأزدي السلمي (٣٢٥ هـ - ٤١٢هـ) فقد قيل فيه:

إنه ورث التصوف من أبيه وجده، وهو صاحب التصانيف المشهورة في علوم الصوفية، وقيل فيه: إنه عمل دويرة للصوفية. وروى عن شيخه أبي سهل الصعلوكي مقولة: «مَنْ قال لشيخه: لِمَ؟ لا يفلح أبدًا»!!

وقال الذهبي في آخر ترجمته: «وبالجملة ففي تصانيفه أحاديث، وحكايات موضوعة، وفي حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلاً، عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية!! وعدّها منهم عرفانًا وحقيقة، نعوذ بالله من الضلال، ومن الكلام بهوًى، فإن الخير كل الخير في متابعة السنة، والتمسك بهدي الصحابة والتابعين ﷺ»[١]. بل هذا الكتاب جمع فيه من التأويلات ما صار مفتاحًا لمن جاء بعده من الباطنية الصوفية.

إن أبا عبد الرحمن السلمي أضاف للعُبَّاد والزُّهاد قصصًا غير صحيحة، وكتاب «طبقات الصوفية» مليء بالكذب، واشتهر عند كثير من أهل العلم أنه كان يضع الحكايات الصوفية[٢]، وربما أن ما وقع له من ذلك سببه الغلط، ولا يظن به تعمد الكذب، لكن لعدم الحفظ والإتقان دخل عليه الخطأ في الرواية[٣].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٥٢)، وانظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٤٥).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١١/ ٤٢)، «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١/ ٣٣٣)، «منهاج السنة» (٨/ ١١)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٥٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١١/ ٤٢).

فهذا هو الشيخ، وأما التلميذ فهو: أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير الميهني، ولد سنة (٣٥٨ هـ) في ميهنة سرخس من بلاد خراسان، وتوفى سنة (٤٤٠ هـ).

وهو من أقدم المؤسسين للخانقاهات، وأسلوب إدارتها وأنظمتها، والقواعد التي وضعها في ذلك تُعَدُّ من أقدم النظم الخاصة بمجتمعات إخوان الطريقة، وإخوان الصفا[١].

ومن نظام هذا الهيكل الذي وضعه هذا الميهني المشار إليه: أنه جعله متسلسلاً عن طريق الوراثة!! وفارسية هذا الرجل وكونه أول من أنشأ الطرق، أمور تلقي بظلالها على مصادر هذا الأمر الدخيل على الإسلام.

هذا من جهة أول من أحدث التنظيم الهيكلي لهم.

وأما من جهة تنوع هذه الطرق وتنظيماتها: فإن طرق التصوف انقسمت إلى تيارين:

الأول: أقرب إلى الإسلام نسبيًا، وهم صوفية القرن الثالث والرابع، ثم صوفية الغزالي، ومن اتبعه من شيوخ الطرق الكبار، ومن تأثر به؛ كالرفاعي، والجيلاني، والشاذلي، والمرسي، والسكندري.

الثاني: اتجاه فلسفي أبعد عن الإسلام، وحاول أصحاب هذا الاتجاه تأسيس طرق على المنهج الفلسفي، لكنها لم تبق، ومن القرن الثامن وحتى العصر الحاضر والتصوف في انحطاط، ولله الحمد، وأتباعه لم ينتجوا جديدًا، وإنما يلخصون كتب مَن قبلهم ويشرحونها، واعتنوا بكثير من الطقوس الغريبة، والشكليات التي أبعدتهم عن الإسلام[٢].

---

(١) «تاريخ التصوف» لقاسم غني (ص٦٦٩، ٦٧٠).

(٢) «الفكر الصوفي المعاصر» (ص٢٩، ٣٠).

لكن الطرق المشار إليها في الاتجاه الأول قد تبلورت وتطورت، وصار لكل شيخ طريقة منظمة، ودساتير محترمة، وأنظمة لا يجوز مخالفتها، وإلا طرد ولم يحصل على الولاية، ولم يتيسر له طريق الله!!

وهذه القواعد التي وضعوها مهدت لإماتة أجيال من شباب هذه الأمة وصالحيها، وأفقدتهم عقولهم، وسلبت عنهم تفكيرهم؛ فصاروا آلات جوفاء تردد ما يقال لها، وتبعت هذه الجماهير المضللة شيوخ الضلالة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

يقول الشيخ محمود قاسم في كتابه «الكشف عن حقيقة الصوفية» لأول مرة في التاريخ عن طرق الصوفية:

«لا يوجد في الصوفية إلا طريقتان:

١- طريقة الإشراق: هي الطريقة الوحيدة الأزلية التي استعملها المتصوفة في كل الأمم.

٢- طريقة البرهان، أو الطريقة الغزالية، أو التصوف السني»[(١)].

فالأولى أسلوبها: أن يميت السالك إحساساته وأعصابه بإرهاقها جدًّا؛ حتى يصل إلى ما يشبه العتَه؛ بالجوع، والصمت، والسهر، وتعذيب النفس، ونحو ذلك.

أما طريقة البرهان: فهي طريقة الإشراق نفسها، مزجوها بالإسلام، وفلسفها الغزالي بذكاء ودهاء، «خلاصة القول: لا يوجد في التصوف إلا طريقة واحدة هي طريقة الإشراق، سواء عند متصوفة المسلمين أو عند

---

(١) «الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٣٠٩).

غيرهم، ولكن متصوفة المسلمين مزجوا الطريقة الإشراقية بالإسلام، وسموا ذلك: (التصوف السني)، أو (الطريقة البرهانية)، أو (الغزالية)، وبذلك استطاعوا أن يخدعوا المسلمين ويجروهم إلى التصوف»[١].

والحق: أن الطرق الصوفية- مع تنوعها وكثرتها- متفقة في أنواع من الباطل والابتداع والغلو، فالرياضة المبتدعة، ودعوى الكشف والتفريق بين الحقيقة والشريعة، والغلو في الشيخ وتقديسه، والتلقي عنه وعن المنامات والرؤى والحكايات، وجعلها هي الأصل، كل ذلك جامع مشترك لجميع هذه الطرق، فتعدد الطرق بسبب تنوع المشايخ، وإلا ليست طرقًا في الحقيقة، إنما هي مشيخات، فالفروق بينها شكلية، متمثلة في:

١- فروق في كلمات الأذكار، والأحزاب، والأوراد، لا بمعانيها.

٢- وفروق في أشكال الحضرة، ومواعيد المولد، وطريقة الغلو، وتنويع القصص والخرافات.

٣- وفروق في أسماء الشيوخ ونحو ذلك.

فمنْ عنَّ له أن يبتدع طريقة فعل، وسماها باسمه واسم قبيلته، ونحو ذلك؛ فيعسر حصر هذه الطرق، ويكفي أنه في بلد واحد وفي فترة زمنية قصيرة- هي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري- بلغ عدد الطرق الصوفية في بلد واحد أكثر من مائة طريقة[٢].

ومن عادة هؤلاء الطرقيين: افتراء الكذب، وادعاء الانتساب إلى آل البيت، أو لولي من الأولياء.

---

(١) «الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٣١٥).

(٢) «الفكر الصوفي المعاصر» (ص٢٢١، ٢٢٢)، وانظر (ص٢٣٧- ٢٣٩)، «الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٣١٥).

وعادة ما يجعلون لهم صناديق تقبل النذر المصروف للأولياء، وربما توسعت الطريقة وعظم شأنها فصار لها نفوذ وقوة ودعاية إعلانية من مجلات، وربما مدارس، ونفوذ سلطاني.

ثم إن كل أتباع طريقة يحذرون من الطرق الأخرى المنافسة لهم، ويدْعُون إلى اتباع طريقتهم، ويتقاتلون ويتنابزون بالألقاب؛ فالرفاعي المنتسب إلى الرفاعية يحذر من الطريقة التيجانية ومن غيرها، ويدعو إلى اتباع طريقته ويمدحها ويبالغ في ذلك، ويرون أن طريقتهم ناسخة لجميع الطرق، كما أن الشريعة الإسلامية ناسخة لجميع الشرائع، وهكذا غيره من الطرقيين.

ومن مقولاتهم: «لا وصول إلى الحقيقة إلا بعد سلوك الطريقة». و: «من لم يكن له شيخ فشيخه شيطانه». و: «كن بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل». و: «من قال لشيخه: لِمَ؟ لا يفلح أبدًا»!!

وهذه الطرق الصوفية القديمة خرجت بعدَها طرق أخرى، ثم طرق، وهكذا، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. وكما قال رسول الله ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[١].



(١) رواه أحمد (١٧١٤٥).

المبحث الثاني

أسماء بعض الطرق الصوفية

من أوائل الطرق التي اندثرت، وهي أصول الطرق التي حدثت فيما بعد:

١- المحاسبية:

نسبة إلى أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، بصري، سكن بغداد، وتوفي سنة ٢٤٣هـ، «وقد سئل أبو زرعة الرازي عن المحاسبي وكتبه؟ فقال: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر تجد غنية، هل بلغكم أن مالكًا والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس؟ ما أسرع الناس إلى البدع»[١].

وطريقة أتباعه موافقة لمعظم ما عليه صوفية خراسان ذلك الوقت، إلا أن لها بعض الاختلاف اليسير بينهم[٢].

٢- الطيفورية أو البسطامية:

نسبة إلى طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي، وهو مشهور بكنيته (ت٢٣٤ هـ أو ٢٦١هـ) كان جده مجوسيًا فأسلم، وطريقته كما يصفها

---

(١) انظر ترجمة المحاسبي في: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص٥٨)، و«الحلية» (١٠/ ٧٣)، و«تاريخ بغداد» (٨/ ٢١١)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٥٧)، و«البداية والنهاية» (١٠/ ٣٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١١٠)، وانظر: «تاريخ التصوف» لقاسم غني (ص٦٢٢).

(٢) انظر: «سؤالات البرذعي» (ص٥٦١)، «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ١٦٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١١٢)، «تهذيب التهذيب» (٢/ ١١٧).

الصوفية: الغلبة والسكر. ونقلت عنه أقوال خطيرة مثل: «ما في الجبة إلا الله»، «سبحاني ما أعظم شأني»، «ما المحدِّثون؟ إن خاطبهم رجل عن رجل، فقد خاطبنا القلب عن الرب».

وكان أتباعه يتجنبون مخالطة الناس، ويفضلون الخَلوة والعزلة، وشطحات أتباعه كثيرة جدًّا؛ تبعًا لشطحات شيخهم(١).

❑ ٣- السقطية:

نسبة إلى أبي الحسن السري بن المغلس السقطي، خال الجنيد، (ت: ٢٥٣هـ)(٢).

❑ ٤- القصارية:

أتباع أبي صالح حمدون بن عمارة القصار (ت٢٧١هـ)، ومن طريقتهم: إظهار الملامة ونشرها، والتعرض للبلايا، وتأديب النفس بالتحقير والإهانة، واشتهر بعد ذلك طائفة يقال لهم: الملامتية، وزاد فيها ابتداعًا أيضًا تلميذه أبو محمد عبد الله بن منازل (ت: ٣٢٩ هـ أو ٣٣٠هـ)، وظهر الغلاة منهم في تركيا حديثًا(٣).

ومن فرقها: القلندرية، وهم الذين تركوا العادات والآداب وراءهم

---

(١) «طبقات الصوفية» (ص٦٧)، «الحلية» (١٠/ ٣٣)، «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٣١)، «البداية والنهاية» (١١/ ٣٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٨٦). وانظر: «تاريخ التصوف» لقاسم غني (ص٦٣٠)، و«شطحات الصوفية» لعبد الرحمن بدوي.

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص٤٨)، «الحلية» (١٠/ ١١٦)، «تاريخ بغداد» (٩/ ١٨٧)، «البداية والنهاية» (١١/ ١٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١٨٥).

(٣) «تاريخ التصوف» (ص٦٣٣).

ظهريًا، وأهملوا التقيد بآداب المجالس والمعاملات، ومن الأمور التي عرفوا بها: حلق شعر الرأس واللحية والشارب والحاجب!! وكانوا يلبسون زي العجم والمجوس[(١)].

❑ ٥- الجنيدية:

أتباع أبي القاسم الجنيد بن محمد (ت: ٢٩٧هـ)، قالوا في وصف طريقته: إنها توفق بين الشريعة والحقيقة!! وتجمع بين الظاهر والباطن!! وإنها أكثر ملاءمة للمبتدئين وغير الناضجين[(٢)].

❑ ٦- النورية:

أتباع أبي الحسن أحمد بن محمد الخراساني البغوي النوري (ت: ٢٩٥هـ)، وهو من أصحاب الجنيد، وله عبارات دقيقة يتعلق بها مَن انحرف من الصوفية، وأُخِذَ ليُقتل على الزندقة!! ثم عفي عنه وأطلق، وأتباعه أخذوا من عباراته ما قادهم إلى القول بالفناء والحلول، وهؤلاء يذمون العزلة، ويحثون على المعاشرة والمصاحبة، ويحثون على الإيثار، ولهم في ذلك تفسيرات وتأويلات وحكايات[(٣)].

---

(١) ترجمة القصار في: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص١٢٣)، «الحلية» (١٠/ ٢٣١)، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٥٠). وانظر: «تاريخ التصوف في الإسلام» لقاسم غنى (ص٦٢٤، ٦٢٥).

(٢) «تاريخ التصوف» (ص٦٣٣). وانظر: «طبقات الصوفية» (ص١٥٥)، «الحلية» (١٠/ ٢٥٥)، «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٤١)، «وفيات الأعيان» (١/ ٣٧٣)، «البداية والنهاية» (١١/ ١١٣)، «السير» (١٤/ ٦٦).

(٣) «طبقات الصوفية» (ص١٦٤)، «الحلية» (١٠/ ٢٤٩)، «تاريخ بغداد» (٥/ ١٣٠)، «البداية والنهاية» (١١/ ١٠٦)، «السير» (١٤/ ٧٠)، «تاريخ التصوف» (ص٦٣٤).

❑ **٧- السهلية أو التسترية:**

أتباع سهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٧٣ هـ أو ٢٨٣هـ).

وكانوا يعظمون رياضة النفس والمجاهدة، ويجعلونها سبيلًا للوصول إلى الغاية، وهذا مما تتفق عليه غالب الطرق، لكن هؤلاء يولون هذا الجانب اهتمامًا أكبر، ويقدمونه على واجبات السالك الأخرى[(١)].

❑ **٨- الخرازية:**

أتباع أبي سعيد أحمد بن عيسى الخراز، أحد المشاهير الصوفية في القرن الثالث (ت ٢٧٩هـ) وقيل غير ذلك، وأساس طريقته مبني على موضوع البقاء والفناء!!

قال الذهبي: «يقال: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، فأي سكتة فاتته، قصد خيرًا، فولد أمرًا كبيرًا، تشبث به كل اتحادي ضال به... قال السلمي: أنكر أهل مصر على أبي سعيد، وكفروه بألفاظ»[(٢)].

❑ **٩- الحكيمية:**

أتباع أبي عبد الله الحكيم محمد بن علي الترمذي (ت: ٢٩٦ هـ أو ٣٢٠ هـ). أحد كبار الصوفية في القرن الثالث، وله تقعيدات وتأصيلات

---

(١) انظر: «طبقات الصوفية» (ص٢٠٦)، «الحلية» (١٠/ ١٨٩)، «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٢٩)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٨٢)، «السير» (١٣/ ٣٣٠)، «تاريخ التصوف» (ص٦٣٦).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» (ص٢٧٩)، «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٤٦)، «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٧٦)، «البداية والنهاية» (١١/ ٥٨)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٩٢)، «تاريخ التصوف» (ص٦٤٠). و«السير» (١٣/ ٤٢٠، ٤٢١).

خطيرة في الولاية، وتكلم الناس فيه لأجل موقفه من الولاية وتقديمه لها على النبوة[١]، وزاد أتباعه بعد ذلك على خطئه[٢].

قال الذهبي لما بين سبب هجر العلماء للحكيم الترمذي: «كذا تُكُلِّم في السلمي من أجل تأليفه كتاب «حقائق التفسير»، فيا ليته لم يؤلفه، نعوذ بالله من الإشارات الحلاجية، والشطحات البسطامية، وتصوف الاتحادية، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة...»[٣].

١٠- الحلاجية:

نسبة إلى أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج، قتل: ٣٠٩هـ، وكان جده مجوسيًا، وظهر للناس سوء سيرته، ومروقه، قال الذهبي: «منهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، وإلى الشعبذة والزوكرة، وقد تستَّر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به على الجهال»[٤].

والصوفية كلهم يزكونه ويمدحونه؛ كالغزالي، والقشيري، وابن عربي، والصوفية المعاصرون![٥].

---

(١) انظر: «طبقات الصوفية» (ص٢١٧)، «الحلية» (١٠/ ٢٣٣)، «السير» (١٣/ ٤٣٩)، وخبر اتهامه بالكفر والزندقة في «السير» (١٣/ ٤٤١، ٤٤٢)، «تاريخ التصوف» (ص٦٣٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٦٣، ٣٧٣).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٤٢).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣١٤).

(٥) انظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص٢٧٩)، «تاريخ التصوف» (ص٦٣٣).

❑ ١١- السيارية:

أتباع أبي العباس القاسم بن القاسم السياري المروزي (ت٣٤٢هـ).

ومذهبهم مبني على الجمع والتفرقة، وهما من الألفاظ المجملة التي يراد بها حق وباطل، ولا يفهم سامعها مرادهم بها، ويدخلون أمورهم الباطلة في مثل هذه المصطلحات؛ فالجمع: مشاهدة الأشياء بواسطة الله وبوسيلته!! وجمع الجمع: هو الفناء عما سوى الله، وهو مقام الاتحاد والاتصال!![١].

❑ ١٢- الحلمانية:

أتباع أبي حلمان الفارسي الحلبي، في القرن الرابع، وكانت تصرح بالقول بالحلول ووحدة الوجود، وهي من الطوائف الباطنية[٢].

❑ ١٣- القشيرية:

أتباع أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، (ت: ٤٦٥هـ)[٣].

فهذه الطرق في القرن الثالث والرابع والخامس مقدمات للطرق التي جاءت بَعْدُ؛

كالرفاعية: نسبة إلى أحمد الرفاعي، من بني رفاعة، قبيلة من العرب، (ت: ٥٧٨هـ)، وهي ثلاثة فروع: البازية، الملكية، الحبيبية، وطريقته

---

(١) انظر: «طبقات الصوفية»، (ص٤٤٠)، «الحلية» (١٠/ ٣٨٠)، «السير» (١٥/ ٥٠٠)، «شذرات الذهب» (٢/ ٣٦٤)، «تاريخ التصوف» (ص٦٤٣).

(٢) «الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص٢٧٥).

(٣) «الصلة بين التصوف والتشيع» لكامل مصطفى الشيبي (ص٤٤٠- ٤٤٦)، و«بغية المستفيد بشرح منية المريد» (ص٧٤، ٧٥).

منتشرة في بعض البلاد، كالطريقة الحريرية في سوريا، وبعض هؤلاء يظهرون الشعوذة ويدعون أنها كرامات؛ كالطعن بالسكاكين، وأكل النار، وازدراد الأفاعي وتحمل لدغها.

والبكتاشية: أسسها الحاج بكتاش ولي، (ت: ٧٣٨ هـ)، وهي من الطرق التي اختلط فيها التصوف بالتشيع، ولها انتشار واسع في تركيا، ومصر، والمغرب.

والنقشبندية: نسبة إلى بهاء الدين محمد بن محمد البخاري، الملقب بـ(شاه نقشبند)، (ت: ٧٩١هـ)، ولها انتشار في تركستان، والصين، والهند، وماليزيا، وتركيا.

والأحمدية: نسبة إلى أحمد البدوي، ولد بفاس، ورحل إلى العراق، ثم مصر، ومات في طنطا، (ت: ٦٢٤هـ).

وانقسمت هذه الطريقة إلى ستة عشر فرقة تبعًا لأبرز شيوخها، وهي: المزارقة، الكناسية، الأبنابية، المنايفة، الحمودية، العدمية، الحلبية، الزاهدية، التشعيبية، البيومية، التسقانية، الثناوية، العربية، السطوحية، البندارية، المسلمية.

والسبعينية: نسبة إلى عبد الحق بن سبعين (ت ٦٦٩ هـ)، الاتحادي الضال، من أشهر القائلين بوحدة الوجود.

والدسوقية: نسبة إلى إبراهيم الدسوقي.

والمولوية: جلال الدين الرومي.

والأكبرية: نسبة إلى ابن عربي، ولها فرعان: الشهاوية، الشرانية.

والبكدائية: وهي التي تنتمي إليها الأتراك العثمانيون، وهي في ألبانيا إلى الآن، وهي أقرب إلى التصوف الشيعي.

والميرغنية: نسبة إلى محمد الميرغني.

والخلوتية: نسبة إلى محمد الخلوتي.

والصديقية: نسبة إلى أبي بكر بن هواري.

والكيروية: نسبة إلى نجم الدين الكيري.

والجهرية: نسبة إلى الخواجة أحمد السيوري، سميت بذلك لكونها تقوم على الجهر بالذكر.

والبرهانية: نسبة إلى برهان، وهي أيضًا تقوم على الجهر بالذكر، ولبس الزي الأخضر.

والعيدروسية: نسبة إلى عبد الله بن عيدروس.

والحاتمية: نسبة إلى ابن عربي الحاتمي الاتحادي.

ويظهر تطور للطرق بعد حدوث الدولة العثمانية وتوطيد أركانها، فنشطت الطرق وزاد عددها؛ لتشجيع سلاطين الأتراك لهذه الطرق ومحبتهم لها.

وتوالى ظهور طرق صوفية جديدة في هذا العصر في مصر، وفي غيرها من البلاد الإسلامية. واللائحة الرسمية لطرق الصوفية بمصر الصادرة عام ١٣٢٣هـ تجوّز زيادة طرق جديدة متى كانت لا تشابه طريقة من الطرق الموجودة في اسمها أو اصطلاحها، وبلغ عدد الطرق عام ١٣٢٣هـ بمصر (٣٢) طريقة، وفي عام ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م (٦٧) طريقة، وحتى عام ١٤١٠هـ بلغ عددها (٧٢) طريقة، هذا غير الطرق التي لم يعترف بها رسميًا، وهي كثيرة جدًّا[١].

---

(١) انظر: كتاب «الفكر الصوفي المعاصر» للقشعمي (ص٢٢١، ٢٣٧، ٣٧٤، ٣٧٥).

المبحث الثالث

أهم الطرق الصوفية المعاصرة

ترجع معظم الطرق الموجودة اليوم إلى طرق أصول، هذه الطرق تفرعت عنها، وهذا سببه الشكل التنظيمي والاختلاف في سلسلة السند والشيخ الذي أخذت عنه الطريقة، ويختلف الباحثون في أصول الطرق الصوفية المعاصرة على عدة أقوال؛ وذلك بسبب التشابه بينها والتداخل في التلقي والسلوك والصفات ونحو ذلك، وهذا البحث لا أثر له في الواقع، ولكن أشير إلى أمَّهات الطرق الصوفية المعاصرة إشارة موجزة:

❑ **الجيلانية:**

نسبة إلى عبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هـ)، دفن ببغداد، وتنسب إليه كثير من الكرامات، ويحج إلى قبره جموع من أتباعه، ويدعي أتباعه أن هذه الطريقة ساهمت في نشر الإسلام في أفريقيا.

❑ **الشاذلية:**

نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي المغربي (ت٦٥٦هـ)، وطريقته منتشرة في مصر، واليمن، وسوريا، والمغرب العربي، ولأتباعه حماس قوي في نشر دعوتهم، وادعاء صحة طريقتهم وأنها سلفية!!

❑ **التيجانية:**

نسبة إلى أحمد التيجاني (ت١٢٣٠هـ)، وهي طريقة منتشرة بقوة في

أفريقيا؛ في المغرب، وموريتانيا، وتشاد، والسودان، وفي كتاب الدكتور/ تقي الدين الهلالي «الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية» عجائب وغرائب عن هذه الطريقة المنحرفة، وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان منهم ثم تاب.

❑ **البريلوية:**

أسسها أحمد رضا خان بن تقي علي خان، وسمى نفسه: عبدالمصطفى! (ت١٣٤٠هـ)، وتنسب إلى بلد ولادة المؤسس هي بريلي، ولديهم عقائد كفرية؛ منها الغلو في الأنبياء، وفي النبي محمد ﷺ خاصة، ويكفرون عموم المسلمين الذين يخالفونهم في آرائهم.

❑ **الختمية:**

أسسها محمد عثمان بن محمد أبو بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب، (ت ١٢٦٨ هـ)، وسمى طريقته: الختمية، إشارة إلى أنه خاتم الأولياء!! وتسمى الطريقة الميرغنية، ولهم انتشار في السودان.

وهذا المؤسس له افتراءات على الله جل وعلا، وعلى رسوله ﷺ؛ كبقية الصوفية، وهو القائل: «إن من رآني، أو رأى من رآني، أو رأى من رأى من رآني، أو رأى من رأى من رأى من رآني، أو رأى من رأى من رأى من رآني، لا تمسه النار!». ويزعم هذا الأفاك أن الرسول ﷺ أخبره بذلك، وخرافاتهم وشركهم وبدعهم كثيرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.

❑ **وهناك طرق أخرى معاصرة، مثل:**

القادرية، والسهروردية، والحصفية، والجشتية، والخلوتية، والمشارعية،

والقشيرية، والخشنية، والمدارية، والعشقية، وغيرها كثير[١].

قال الله تعالى في تلك الطرق وأمثالها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].



(١) انظر: كتاب «الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٣٥٣- ٣٧٦).

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، وبعث إلينا أفضل رسله محمد ﷺ الذي أشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت بدعوته القلوب بعد شتاتها، وعز جند الرحمن، وذل حزب الشيطان، وظهر نور الفرقان، وقامت حجة الله على الإنس والجان، وقد ترك أمته على محجة بيضاء نقية، وطريقة واضحة سوية، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فهذه الورقات جمعت مسائل مهمة تتعلق بالصوفية، وأول انحرافاتها وبدعها، وما وصل إليه المتأخرون والغلاة في آخر الأمر، وبه يتبين أهمية التمسك بالسنة والدعوة إليها، خصوصًا في هذه الأزمان المتأخرة، أزمان الغربة وقلة العلم؛ فإن إبطال البدع وردها من أوجب الواجبات على أهل الإسلام، وإحياء سنة النبي ﷺ والدفاع عنها من أعظم أنواع الجهاد؛ فإن فيه حفظًا لأصول الإسلام، ولم يزل دأب أئمة السلف في الردِّ على أهل البدع والأهواء، والتصدي للمخالفين عبر تلك القرون الطويلة، خاصة بعد حدوث النِّحَل الخبيثة؛ القرامطة، والباطنية، والفلاسفة الملاحدة، وهذه الفرق هي أشد نكبة نكب بها أهل الإسلام.

فنسأل الله أن يعز الإسلام وأهله، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في دينه ولزوم سنة نبيه ﷺ، والذب عنها،

وجهاد من عارضها برأي أو هوى، إنه سميع مجيب الدعاء، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.



قائمة المصادر والمراجع

١- «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان»، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، حققه وخرج أحاديثه: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا ط. ٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢- «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض،ط. ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣- «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعرف بـ(أبي شامة) الشافعي، دراسة وتحقيق/ عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة ابن سينا، القاهرة، بدون تاريخ.

٤- «البدع والنهي عنها» لابن وضاح، عني بطبعه وتصحيحه/ محمد أحمد دهمان، دار الأصفهاني بجدة. وطبعة أخرى ت/ عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط. الأولى ١٤١٦هـ.

٥- «تاج العروس من جواهر القاموس» لأبي الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي ، الملقّب بـ(مرتضى) ، ت: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٦- «تاريخ العقيدة الإسلامية في العراق»، للمحامي عباس العزاوي، مخطوط، محفوظ بجامعة الإمام برقم (٧٠٨٧).

٧- «تاريخ بغداد» أو «مدينة السلام»، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الفكر، بدون تاريخ.

٨- «تبرئة الذمة في نصح الأمة»، لجامعه محمد عثمان عبده البرهاني، مطبوعات الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، بدون تاريخ.

٩- «التيجانية»، دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة، للدكتور/ علي بن محمد آل دخيل الله، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض ط. ٢ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٠- «التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق»، للدكتور/ زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، لبنان.

١١- «التصوف المنشأ والمصادر»، لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، بدون تاريخ.

١٢- «التصوف بين الإفراط والتفريط»، للدكتور/ عمر عبد الله كامل، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط. ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٤- «التصوف هل له أصل في الكتاب والسنة»، لأبي عبد الرزاق، د. محمود بن عبد الرزاق، دار ماجد عسيري، جدة، بدون تاريخ.

١٥- «التصوف والاتجاه الفلسفي في العصر الحديث»، للدكتور/ مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية، بدون تاريخ.

١٦- «التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام»، لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط. ١، ١٩٨٠م.

١٧- «التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري»، لعبد اللطيف الشاذلي، منشورات جامعة الحسن الثاني، مطابع سلا.

١٨- «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع»، للملطي الشافعي، ت/ يمان بن سعد

الدين المياديني، رمادي للنشر، والمؤتمن للتوزيع، ط الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٩- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة البابي الحلبي، ط. ٣ .

٢٠- «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢١- «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني»، لعلي حراز بن العربي براده المغربي الفاسي، وبهامشه «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم»، لعمر بن سعيد الفوتي الكروي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط. الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢٢- «الحاوي في فتاوى عبد الله بن الصديق الغماري»، دار الثقافة العربية ط. ١، ١٤٠٢هـ.

٢٣- «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الفكر، بيروت لبنان، بدون تاريخ.

٢٤- «الحوادث والبدع»، لأبي بكر الطرطوشي، حققه/ عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي ط. ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٥- «الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي»، للشيخ/ الأمين عوض الله، دار المجمع العلمي بجدة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٦- «درء تعارض العقل والنقل» لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٧- «دراسات في التصوف»، لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، بدون تاريخ.

٢٨- «ذم الكلام»، لأبي إسماعيل الهروي، ت/ عبد الله الأنصاري، دار الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط. الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٩- «الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية»، لابن تيمية، تصحيح وتعليق/ عبد الرحمن المعلمي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عام ١٤٠٤هـ.

٣٠- «رسالة الشرك ومظاهره»، لمبارك بن محمد الميلي، مكتبة الإيمان، الإسكندرية، ط. ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣١- «الرسالة القشيرية في علم التصوف»، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق/ معروف مصطفى زريق، وعلي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير، بيروت لبنان، ط. ٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٢- «الزهاد الأوائل دراسة في الحياة الروحية الخالصة في القرون الأولى»، للدكتور/ مصطفى حلمي.

٣٣- «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها»، لمحمد ناصر الدين الألباني، جـ١، ٢، المكتب الإسلامي، ط الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، جـ٣ مكتبة المعارف، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، جـ٤ المكتبة الإسلامية مع مكتبة المعارف، ط. الثالثة، ١٤٠٦هـ، جـ٥ مكتبة المعارف، ط. الأولى،

١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣٤- «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة»، لمحمد ناصر الدين الألباني، جـ١، المكتب الإسلامي، ط. الخامسة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، جـ٢، المكتبة الإسلامية، عمان، ومكتبة المعارف بالرياض، ط. الثالثة، ١٤٠٦هـ، جـ٣، مكتبة المعارف، ط. الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، جـ٤، مكتبة المعارف، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٥- «سنن أبي داود»، لأبي داود سليمان بن الأشعث، ت/ عزت الدعاس، دار الحديث، بيروت، ط. الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٣٦- «سنن ابن ماجه»، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بـ(ماجه) وهو اسم أبيه يزيد، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة مصورة، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٧- «سنن الترمذي» «الجامع الصحيح»، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، جـ ١، ٢، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الجزء الثالث، وإبراهيم عطوة الجزء الرابع والخامس، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م. وطبعة أخرى من الكتاب ت/ بشار عواد معروف، دار الجيل بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط. الثانية ١٩٩٨م.

٣٨- «سنن الدارمي»، ت/ فؤاد أحمد زمزلي، وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٩- «السنن الكبرى» لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني،

النسائي، ت/عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط. الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٠- «سنن النسائي»، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ومعه شرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به ورقمه عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط. الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٤١- «سير أعلام النبلاء»، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط. ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٤٢- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، دار الفكر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٤٣- «شرح صحيح مسلم للنووي»، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، طبعة مصورة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤- «صحيح ابن حبان» «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان» لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي، ترتيب ابن بلبان، ت/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٥- «صحيح مسلم»، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٢هـ.

٤٦- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،

طبعة مصورة من الطبعة السلفية، دار الفكر.

٤٧- «صفة الصفوة»، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن

الجوزي، حققه وعلق عليه/ محمود فاخوري، دار الوعي، حلب، بدون تاريخ.

٤٨- «الصلة بين التصوف والتشيع»، للدكتور/ كامل الشيبي.

٤٩- «الصوفية الغزو المدمر قديمًا وحديثًا»، لأحمد بن عبد العزيز الحصين، دار عالم الكتب، الرياض، ط. ٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥٠- «الصوفية الوجه الآخر»، للدكتور/ محمد جميل غازي، إعداد عبد المنعم الجداوي، المركز الإسلامي العام لدعاة التوحيد والسنة، القاهرة، بدون تاريخ.

٥١- «الصوفية نشأتها وتطورها»، لمحمد العبده وطارق عبد الحليم، مكتبة الكوثر، الرياض ط. ٤، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٢- «الضياء اللائح في مناقب القطب الواضح»، للشيخ أحمد الطيب بن الشيخ البشير، تأليف/ الأستاذ عبد المحمود نور الدائم الطيبي السماني، رابطة شباب السمانية، بدون تاريخ.

٥٣- «الطبقات الكبرى»، لعبد الوهاب الشعراني، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

٥٤- «ظهور خلافة العثمانيين وسقوطها في مصر (التاريخ السياسي)»، للدكتور/ عبد المنعم ماجد، دار المعارف، مصر، الإسكندرية، ط. ١٩٦٨م.

٥٥- «العقد الثمين في بيان مسائل الدين»، لعلي بن محمد بن سعيد بن عبد الله السويدي ت١٢٣٧هـ، تحقيق وتعليق/ صالح بن محمد العيدان، إشراف راشد بن حمد الطيار، رسالة ماجستير عام ١٤١٩هـ، جامعة الإمام، قسم العقيدة

والمذاهب المعاصرة.
٥٦- «الفتاوى الكبرى»، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ت/ محمد عطا، ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، (ست مجلدات).
٥٧- «الفرق بين الفرق»، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي الإسفراييني، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث.
٥٨- «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري»، للدكتور/ كامل الشيبي، مكتبة النهضة بغداد، ط. ١، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
٥٩- «الفكر الصوفي المعاصر وأثره الثقافي في مصر. دراسة وتقويم»، ت/ عبد العزيز بن محمد القشعمي، إشراف/ عبد الله بن إبراهيم الطريقي، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود.
٦٠- «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة»، لعبد الرحمن عبد الخالق، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، ط. ٤، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٦١- «فلسفة الحياة الروحية: منابعها، ومشاربها، ونشأتها، ونشأة التصوف والطرق الصوفية»، ت/ د. مقداد يالجن، عالم الكتب، ط. ٢، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٦٢- «القاموس المحيط»، لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.
٦٣- «الكاكائية في التاريخ»، لعباس العزاوي، شركة التجارة، بغداد، ط. ١، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.
٦٤- «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي

القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصوَّرتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) تاريخ النشر: ١٩٤١م.

٦٥- «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ»، لمحمود عبد الرءوف القاسم، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط. ٢، ١٤١٣هـ.

٦٦- «لسان العرب»، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور، دار صادر، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٦٧- «مجموع فتاوى ابن تيمية»، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، طبعة مصورة، مكتبة ابن تيمية.

٦٨- «المدخل إلى التصوف الإسلامي»، للسيد محمود أبو الفيض المنوفي.

٦٩- «المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة»، الدار السلفية ط. الأولى ١٣٩٩هـ، وطبعة أخرى دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط. الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٧٠- «المصنف»، لعبد الرازق، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٧١- «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية»، لإدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٧٢- «مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية (البطائحية)»، قدم لها وعلق عليها/ عبد الرحمن دمشقية، دار طيبة، الرياض، ط. ١، ١٤٠٨هـ.

٧٣- «المنحة المحمدية في بيان العقائد السلفية»، لمحمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط. ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٧٤- «المعجم الوسيط» لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

٧٥- «منهاج السنة النبوية»، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ت/ محمد رشاد سالم، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧٦- «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار»، لأبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، مكتبة المثنى بغداد طبعة مصورة.

٧٧- «موقف الإمام ابن القيم من الصوفية»، لمصطفى مراد، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة ط. ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٧٨- «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط. الأولى، ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م.

٧٩- «هذه هي الصوفية»، لعبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط. ٤، ١٩٨٤م.



فهرس الموضوعات

تم بحمد الله وتوفيقه

تم الصف والإخراج

بشركة غراس للطباعة

هاتف: ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٢٤٨٣٨٤٩٥

